محمد حماد الطل

عبادات الأمم المسلمة السابقة في القرآن والأحاديث



عبادات الأمم المسلمة السابقة
في القرآن والأحاديث

http://kotob.has.it

عبادات الأمم المسلمة السابقة في القرآن والأحاديث

محمد حمّاد الطِلْ

http://kotob.has.it

رقم الايداع لدى دائرة
المكتبة الوطنية
(٢٠٠٦/١/١٩)

رقم التصنيف : ٢٦٢
المؤلف ومن هو في حكمه : محمد حمّاد الطل
عمان: المعهد الملكي للدراسات الدينية ٢٠٠٦
عنوان الكتاب : عبادات الأمم المسلمة السابقة في القرآن والأحاديث
الموضوع الرئيسي : العبادات – الأبحاث – الإسلام – الفقه الإسلامي
بيانات النشر : عمان: المعهد الملكي للدراسات الدينية
تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

ISBN 9957-426-02-8 (ردمك)

حقوق الطبع محفوظة باسم
المعهد الملكي للدراسات الدينية
٢٠٠٦



الناشر: المعهد الملكي للدراسات الدينية
عمان: هاتف ٤٦١٨٠٥١ (٦-٩٦٢)
فاكس ٤٦١٨٠٥٣ (٦-٩٦٢)
ص.ب ٨٣٠٥٦٢ الرمز البريدي ١١١٨٣، الاردن
riifs@riifs.org http://www.riifs.org

تصميم الغلاف والإخراج الفني:
محمد نصرالله

http://kotob.has.it



المعهد الملكي للدراسات الدينية

تأسس في عمّان، الأردن، عام ١٩٩٤ برعاية صاحب السمو الملكي الأمير الحسن بن طلال ليوفّر في العالم العربي مركزاً للدراسة والبحث في جميع المواضيع المتعلقة بالتفاعل بين الأديان والحضارات والثقافات إقليمياً وعالمياً. وذلك عن طريق الأبحاث والحوار العلمي والاهتمام بالديانات الكتابيّة، مع تركيز خاص على الدين المسيحي والمشاركة المسيحية في الحضارة العربية الإسلامية.

ويشمل عمل المعهد جميع المواضيع المتعلّقة بالتعدديّة الدينيّة، أو التي تؤثر فيها وتتأثر بها في العالم، وبخاصة التعددية الحضارية والتفاعل بين الحضارات في العالم المعاصر، إضافة إلى الاهتمام بالتعدديّة الدينيّة في العالم العربي.

ويقوم على تنفيذ أعمال المعهد ونشاطاته برنامجان: الأول برنامج عربي موجّه إلى المعنيين في الأردن والعالم العربي، والثاني برنامج دولي يعتمد اللغة الإنجليزية، وموجّه إلى المعنيين في العالم بشكل عام.

ويقوم المعهد بتنظيم المحاضرات والندوات والمؤتمرات والحلقات النقاشية، ويستضيف الباحثين من مختلف البلاد العربية والعالم، للمشاركة في نشاطاته وإلقاء محاضرات في موضوعات اختصاصهم، إلى جانب تعريفهم بالحياة الأكاديمية والثقافية في الأردن. كما يعمل على نشر الكتب والأبحاث التي يتقدم بها الباحثون المعنيون، إلى جانب إصدار دوريتين إحداهما بالعربية والأخرى بالإنجليزية.

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

فهذا كتاب عبادات الأمم المسلمة للأستاذ محمد حماد الطل يفتح آفاقاً للبحث في جوانب عدة منها:

أولاً: الحقائق الغائبة التي احتوتها نصوص الكتاب والسنة الصحيحة عن الأديان السماوية السابقة في جوانب الاعتقاد والتشريع، وهذه الحقائق ليست غائبة عن الباحثين المسلمين جُلهم لكنها غائبة عن كثير من المستشرقين ومن سار على دربهم، وفي معرفتها فائدة كبيرة للباحثين في مقارنة الأديان وغيرها مما يُدرّس في جامعات الغرب والشرق.

ثانياً: الدعاوى التي امتلأ بها علم الاجتماع الديني حول تطور الأديان بتحليلاتها وما أثمر عنها، إذ يبرز هذا المُؤلف معالم التوافق بين العبادات في الإسلام وعبادات الأمم المسلمة السابقة مما يهدم لبنة في جدار دعوى تطور الأديان ويقرر وحدة المصدر لهذه الأديان السماوية جميعاً؛ المحفوظ منها وغير المحفوظ.

ثالثاً: العولمة وما حملته في جانبها الثقافي من أفكار وحدة الثقافات والأديان، تلك الأفكار التي تعني الذوبان الحضاري وعدم الاعتراف بالخصوصية التي تمتاز بها كل أمة. الذي يُفهم من هذا المُؤلف كما هو مقرر في مقدمته وخاتمته أن الإسلام هو الدين الذي دعا إليه جميع الأنبياء في جانبه العقدي، وأما ما يتعلق بالشرائع فقد كان لكل أمة ما يميزها ﴿...لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا...﴾ [المائدة: ٤٨]، ولا يمنع ذلك وجود نقاط التقاء وتوافق وتشابه كبير تؤكد وحدة المصدر ولا تلغي نسبة الاختلاف الذي

http://kotob.has.it

يعني في وقتنا الحاضر مزيداً من الابتلاء لجميع البشر المكلفين بالبحث عن الحق بكامل حريتهم والالتزام به ليكون الثواب والعقاب مرتبطين بإرادة حرة تتحمل نتيجة اختيارها.

رابعاً: شَرعُ ومَنْ قبلنا كمصدر تبعي في أصول الفقه، يمكن خدمته باستقراء جوانبه وأمثلته والحكم عليها وفق ما يتقرر من ضوابط للعمل به. وهذا باب يحتاج إلى مزيد من الدراسة التفصيلية.

خامساً: الروابط بيننا وبين أهل الكتاب متجذرة إلى درجة استحالة الانفكاك، وكل مسعى نحو تمتينها يتفق مع منهج الكتاب الكريم والسنة النبوية، وكل مسعى يضخم عوامل الاختلاف ولا يبصر العوامل المشتركة لحياة سعيدة يغمط جانباً مهماً من الحقيقة. فذِكر سيدنا موسى عليه السلام في القرآن الكريم عبادة لنا وكذا ذِكر عيسى ومريم عليهما السلام وغيرهم من الأنبياء له دلالته نحو المحبة والمودة والتعايش.

والحمد لله رب العالمين.

تقديم د. شويش المحاميد
كلية الشريعة – جامعة مؤتة
عمان في ٢٠/٦/٢٠٠٥م

http://kotob.has.it

المقدمة

قال تعالى: ﴿إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم﴾ [النمل: ٢٩].

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذي أخرج العباد من الظلمات إلى النور، والصلاة والسلام على الأنبياء والمرسلين المبعوثين من الله سبحانه رحمة للعالمين وخَتمهم بأشرف الخلق والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم.

شغل الحديث عن الأمم الماضية وأحوالها بال الكثيرين على مر العصور. وذلك ليس غريباً، فالإنسان مدفوع للبحث عن أصله ونشأته. وأول ما نزل من آيات الكتاب الكريم يتحدث عن أصل الإنسان ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ١-٢]. وأول أسفار التوراة هو سفر التكوين. ولم تهمل السنّة المطهرة هذا الأمر إذ جاءت شارحة وموضحة لما أجمله الكتاب العظيم، فكان الحديث عن خلق الكون حتى قبل وجود البشرية [١]. لذلك وجدنا الكتب التي تتحدث عن الأمم في الأزمنة المنصرمة، منها ما يتحدث عن القصص القرآني وقصص الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وحالهم مع أقوامهم ونجاة المؤمنين وهلاك الظالمين إضافة إلى الحديث عن عبادات تلك الأقوام، وهو غاية خلق الجن والإنس، قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٧]. وهو الجانب الذي أبحثه في هذا الكتاب، مقتصراً في الحديث على عبادات الأنبياء والمرسلين والصالحين عليهم السلام من المؤمنين والمسلمين. والإسلام: هو الخضوع والاستسلام والانقياد لله رب العالمين، وهو النظام لأمور الحياة ومناهج السلوك الإنساني وما يترتب على اتباعها أو مخالفتها من ثواب أو عقاب.

وإنني أتحدث عن عباداتهم من صلاة وصيام وحج كما جاء الحديث عنها

http://kotob.has.it

في القرآن الكريم والسنّة المطهرة الصحيحة، ليتبين القارىء مدى التشابه بين عباداتنا وعبادات السابقين، وأن السابقين من لدن آدم عليه السلام لا يختلفون عما عليه المسلمون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم. وأترك الروايات الضعيفة أو المنقولة من الإسرائيليات، فإنه – مما يؤسف له – قد تم الحديث عن عبادات الأمم السابقة عند الكثيرين من مصادر إسرائيلية (لفظ الاسرائيليات يدل على ما نقل من روايات عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى)، أو أحاديث ضعيفة واهية، وقد جانب البعض الصواب بسبب هذا العمل. ولذلك نجد البعض عندما يتحدث عن عبادة بعض الأنبياء عليهم السلام فإن مصدره في ذلك الروايات المحرفة أو إسرائيليات مكذوبة، ما أنزل الله بها من سلطان، أو أحاديث موضوعة واهية لا يوجد لها معنى. ولذلك حرصت في هذا الكتاب على عدم إيراد إلا ما جاء في كتاب الله عز وجل وسنّة رسوله عليه الصلاة والسلام الصحيحة، ولم أرجع إلا إلى المنابع الإسلامية وتركت ما دونها.

إن الدين عند الله الإسلام:

الإسلام كما يقول المستشار محمد الطهطاوي هو (الاسم الإلهي الذي جاء به جميع الأنبياء والرسل وانتسب إليه أتباعهم ويتناول إطلاقه جميع الأديان التي أمر الله تعالى رسله أن يبلغوها للناس لأنه روحها الكلي). (٢)

ويضيف الطهطاوي: (ومثلما هو مطلق فيما يتعلق بالمكان، وفيما يتعلق بالزمان فإنه مطلق بالنسبة للجنس البشري، فالجنس البشري لا يقيده فهو لا يشير إلى جنس معين من البشر). (٣) ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ...﴾ [آل عمران: ١٩]. جاءت واضحة على لسان محمد صلى الله عليه وسلم، قال عز وجل: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الزمر: ١١-١٢]، وعلى لسان نوح عليه الصلاة والسلام فقال سبحانه: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢].

وهو دين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب (إسرائيل) عليهم الصلاة

http://kotob.has.it

والسلام وذرياتهم، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَـهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣١-١٣٣].

وهو دين يوسف بن يعقوب عليهما الصلاة والسلام فقد قال عز وجل عنه: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وموسى عليه الصلاة والسلام إذ يخاطب بني إسرائيل قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

وعن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول اللــه صلى الله عليه وسلم: «انتسب رجلان على عهد موسى، فقال أحدهم: أنا فلان بن فلان، حتى عد تسعة، فمن أنت لا أمّ لك؟ قال: أنا فلان بن فلان بن الإسلام، فأوحى الله إلى موسى أن قل لهذين المنتسبين: أما أنت أيها المنتسب إلى تسعة في النار فأنت عاشرهــم في النار، وأما أنت أيها المنتسب إلى اثنين في الجنة فأنت ثالثهما في الجنة». (٤)

وهو رسالة نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام إلى قومه وإلى أهل سبأ عندما أرسل إليهم برسالة يدعوهم إلى الإسلام قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٢٩-٣١].

وهو الرسالة التي دافع واستشهد في سبيلها الحواريون أتباع عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام؛ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

وقد فسر ابن كثير رحمه الله قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ...﴾ [آل عمران: ١٩] فقال: (إخباراً منه تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى

http://kotob.has.it

الإسلام، وهو اتّباع الرسل فيما بعثهم الله في كل حين حتى ختموا بمحمد صلى الله عليه وسلم). (٥)

قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣]، على إن التشابه في الدين لا يعني التشابه التام في شرائع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جميعاً، فالدين واحد ولكن هناك اختلاف في بعض الشرائع.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨].

وقد وفّق الإمام ولي الله الدهلوي بين الآيتين السابقتين فقال: (اعلم أن أصل الدين واحد، اتفق عليه الأنبياء عليهم السلام، وإنما الاختلاف في الشرائع والمناهج، تفصيل ذلك أنه أجمع الأنبياء عليهم السلام على توحيد الله تعالى عبادة واستعانة وتنزيهه عما لا يليق بجنابة وتحريم الإلحاد في أسمائه، وأن حق الله على عباده أن يعظموه تعظيماً لا يشوبه تفريط وأن يسلموا وجوههم وقلوبهم إليه وأن يتقربوا بشعائر الله إلى الله) (٦) ... ويتابع بعد ذكر الأمور التي اتفقت عليها الشرائع قاطبة... (ولذلك لم يبحث القرآن العظيم عن هذه الأشياء إلا ما شاء الله فإنها كانت مسلّمة فيمن نزل القرآن على ألسنتهم وإنما الاختلاف في صورة هذه الأمور وأشباهها، فكان في شريعة موسى عليه السلام الاستقبال في الصلاة إلى بيت المقدس وفي شريعة نبينا صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة. وكان في شريعة موسى عليه السلام الرجم فقط، وجاءت شريعتنا بالرجم للمحصن والجلد لغيره. وكان في شريعة موسى عليه السلام القصاص فقط، وجاءت شريعتنا بالقصاص والديّة جميعاً، وعلى ذلك اختلافهم في أوقات الطاعات وآدابها وأركانها، وبالجملة فالأوضاع الخاصة التي مهدت وبينت بها أنواع البر والإرتفاقات هي الشرعة والمنهاج). (٧)

http://kotob.has.it

الطريقة التي سِرت عليها في هذا الكتاب:

قمت بتقسيم الكتاب إلى عدة موضوعات. وبما أنه يتحدث عن العبادات – أي الجانب الفقهي – فقد اتبعت طريقة المؤلفات الفقهية خاصة في تسلسل الموضوعات، إضافة إلى العناوين الرئيسة والفرعية، والعودة إلى كتب المعاجم والمصطلحات الفقهية الموجودة بين أيدينا. أما داخل هذه العناوين فأبدأ غالباً بذكر المعنى اللغوي والشرعي ثم الآيات الكريمة مع إيراد أقوال العلماء والمفسرين. وقد حرصت على إيراد أقرب الأقوال وأصحها – في نظري – وتركت الأقوال التي لا دليل عليها، رغم أن بعض هذه الأقوال لو أوردتها لكانت من المؤيدات القوية لهذا الكتاب، لكنني حرصت على عدم إيراد ما لا دليل عليه. ثم أقوم بعد ذلك بذكر الأحاديث النبوية الشريفة التي تؤيد ما ذهبت إليه، وأتم المعنى بإيراد شرح المسلمين لهذه الأحاديث. أما إيراد الأحاديث، فإيراد للأحاديث الصحيحة، وقد حرصت على إيراد أقوال العلماء في الحكم على الحديث كابن حجر والنووي والترمذي رحمهم الله تعالى وغيرهم من الأئمة المتقدمين، أما من المُحدَثين فالشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى وكذلك الشيخ شعيب الأرناؤوط والشيخ إبراهيم العلي في كتابه (الأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام).

أما الأحاديث الضعيفة التي وردت فهي قليلة، بل نادرة، وقد بيّنت ضعفها، ومن ضَعّفها من العلماء.

إنني لا أزعم أنني ذكرت جميع الأدلة التي تبين أن عبادات السابقين هي كعباداتنا، ولكن هذا ما وفقني الله عز وجل به بعد الاستعانة بكل الوسائل الممكنة، أما الإحاطة التامة فهي لله عز وجل ﴿...لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢].

الكتب المؤلفة في هذا الموضوع:

قد استطيع أن أقرر بأن الكتب المؤلفة في هذا الموضوع نادرة، [٨] ولا أعلم بوجود كتاب مستقل في هذا الموضوع، فالموضوعات مبثوثة داخل الكتب المختلفة، ككتب التفسير والحديث والفقه والعقيدة.... إلخ بروايات وأقوال

http://kotob.has.it

مختلفة، وبعض هذه الروايات ساقط – وللأسف – فإنه قد تم إيراده وذكره من بعض العلماء، خاصة فيمن ألف في قصص الأنبياء. وقد أفرد بعض العلماء أبواباً في كتبهم كالإمام أبي عبد الله محمد بن نصر المرزوي في كتابه «تعظيم قدر الصلاة»، حيث جعل باباً بعنوان باب في تعظيم قدر الصلاة وتفضيلها على سائر الأعمال، ذكر فيه آيات كريمة وروايات مختلفة عن صلاة السابقين وإنها كصلاتنا، منها ما يستدل به، ومنها ما هو غير صحيح، وجاء ذكر الأدلة بشكل عام دون البحث في تفصيل كيفية الصلاة وأركانها ... إلخ. أما بقية أقوال العلماء في الكتب المختلفة فهي آراء مبثوثة، وبحاجة إلى تنقيب وتمحيص وانتقاء.

وختاماً:

لا يفوتني أن أشكر الأخوة الأفاضل الذين كان لهم الفضل بعد الله سبحانه في إخراج هذا الكتاب، وأخص بالذكر الأخ والصديق العزيز الدكتور شويش المحاميد حفظه الله تعالى الذي شرفني بالاطلاع على الكتاب وإبداء الملاحظات المهمة إضافة إلى كتابة مقدمة الكتاب راجياً من العزيز الغفور أن يجعلها في ميزان حسناته، وكذلك الإخوة الأعزاء العاملين في المعهد الملكي للدراسات الدينية، وأخص بالذكر حسن البطوش و***علاء الرشق (رحمه الله)*** اللذين أشرفا على تدقيق المخطوطة وتحضيرها للطباعة.

وبالله التوفيق

محمد حمّاد الطِلْ

عمان – الأردن

http://kotob.has.it

الهوامش

(١) أنظر على سبيل المثال كتاب بدء الخلق في صحيح البخاري.

(٢) النصرانية في الميزان، محمد عزت الطهطاوي، صفحة ٤٠٩.

(٣) المرجع السابق صفحة ٤٠٩.

(٤) أخرجه أحمد والبيهقي في (شعب الإيمان)، وصححه الألباني، صحيح الجامع ج١: ٣١٢ ح [١٤٩٢]، والأرناؤوط، المسند ج٣٥: ١١٠ ح [٢١١٧٨]، والعلي الأحاديث الصحيحة صفحة ١٣٨ ح [١٩٩].

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج١: ٣٣٤، ولمن أراد التوسع فإن لي مقالاً موسعاً في مجلة النشرة التي تصدر عن المعهد الملكي للدراسات الدينية، العدد السابع عشر ٢٠٠١، بعنوان أسماء الأديان، صفحة ١٦–١٨.

(٦) حجة الله البالغة، ولي الله الدهلوي ج١: ٨٦–٨٧.

(٧) المرجع السابق.

(٨) واقصد بذلك الكتب التي تحدثت عن عبادات السابقين من مصادر إسلامية، أما الكتب التي أخذت من مصادر أخرى فهي كثيرة.

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

سنن الفطرة

(هذه الطهارات منقولة عن إبراهيم عليه السلام متداولة في طوائف الأمم الحنيفة أشربت في قلوبهم ودخلت في صميم اعتقادهم، عليها محياهم، وعليها مماتهم، عصراً بعد عصر ولذلك سميت بالفطرة وهذه شعائر الملة الحنيفية).

حجة الله البالغة ج١: ١٨٢.

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

سنن الفطرة

اختار الله سبحانه وتعالى سنناً للمرسلين عليهم الصلاة والسلام. وكان الأمر منه سبحانه أن نقتدي بهم في تلك السنن، وجعلها عز وجل من قبيل الشعائر التي يكثر وقوعها ليُعرف بها أتباعهم ويتميزوا بها عن غيرهم.(١) وقد اهتم الفقهاء والمحدثون بهذا الموضوع حتى إن الإمام النووي رحمه الله قد استوعب هذه المسألة استيعاباً غزيراً، وكل من جاء بعده إنما هو عالة عليه، (٢) كما أفرد بعض الكتّاب كتباً خاصة بهذا الموضوع. (٣)

فطر: فطر الشيء يفَطُره فطراً فانفطَر. وفطَّره: شقه. وتفطر الشيُّ: تشقق.

وأصل الفَطْر: الشق ومنه قوله تعالى ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَت﴾ [الانفطار: ١] أي انشقت.

وفَطر الله الخلق: هو إيجاده الشيء وابتداعه على هيئة مترشحة لفعل من الأفعال.

قال تعالى: ﴿...فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا...﴾ [الروم: ٣٠].

وفِطرة الله: هي ما ركز فيه من قوته على معرفة الإيمان. (٤)

وفطرة الدين هي أهم فطرة أودعها الله سبحانه وتعالى في الإنسان، منذ خَلقِه عز وجل له، وغرسها فيه ليتوجه إلى الهداية ويصل إلى سبيل الرشاد، فلم يكن الدين في يوم من الأيام اختراعاً من قبل الإنسان أو مخدراً له. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء»، ثم يقول أبو هريرة رضي

http://kotob.has.it

الله عنه: إقرأوا إن شئتم ﴿...فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ...﴾ [الروم: ٣٠]. (٥)

قال الإمام تقي الدين السبكي: (إن المراد بالفطرة الطبع السليم المتهيىء لقبول الدين... وكأنه قال: كل مولود يولد مسلماً بالقوة لأن الدين وهو الإسلام مقارب للعقل غير ناء عنه، وكل مولود خلق على قبول ذلك وجبلته وطبعه وما ركزه الله فيه من العقل لو ترك لاستمر على لزوم ذلك ولم يفارقه). (٦)

الأحاديث النبوية الواردة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الفطرة خمس أو خمس من الفطرة، الختان والاستحداد وتقليم الأظفار ونتف الإبط وقص الشارب».(٧)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عشر من الفطرة قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظفار وغسل البراجم ونتف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء، قال زكرياء: قال مصعب: ونسيت العاشرة إلاّ أن تكون المضمضة، زاد قتيبة قال وكيع: انتقاص الماء يعني الاستنجاء». (٨)

ولا يوجد إشكال بين الروايات «خمس من الفطرة» أو «عشر من الفطرة» إذ إنه ليس المقصود الحصر. قال النووي: (وأما قوله صلى الله عليه وسلم «الفطرة عشرة» فمعناها معظمها عشرة «كالحج عرفة» فإنها غير منحصرة في العشرة ويدل على ذلك رواية مسلم «عشر من الفطرة»). (٩)

وقد اختلفت أقوال العلماء في المقصود بالفطرة (فقال أبو سليمان الخطابي: ذهب أكثر العلماء إلى أنها السنّة وكذا ذَكَرَهُ جماعة غير الخطابي قالوا: ومعناه أنها من سنن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وقيل هي الدين). (١٠)

وأرى أن الراجح هو القول الأول، وهو الذي رجحه الإمام النووي وغيره، مع عدم وجود تعارض مع القول الثاني، والله أعلم.

http://kotob.has.it

خصال الفطرة:

أولاً: قص الشارب:

وذهب النووي إلى أن ضابط القص هو (أن يقص حتى يبدو طرف الشفة ولا يحفه من أصله)، (١١) وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى». (١٢)

ثانياً: إعفاء اللحية:

قال تعالى على لسان هارون وهو يخاطب موسى عليهما الصلاة والسلام: ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: ٩٤].

ثالثاً: السواك:

وهو يأتي بمعنى الفعل، وهو الإستياك وبمعنى الآلة التي يستاك بها التي يقال لها المسواك (١٣).

وعن عائشة رضي الله عنها أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «السواك مطهرة للفم مرضاة للرب». (١٤)

رابعاً: غسل البراجم:

وهي رؤوس السلاميات في ظهر الكف. (١٥)

خامساً: نتف الإبط:

ويكون إزالته بالنتف والحلق. وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على المبادرة إلى النظافة والخلوص من الأوساخ، فعن أنس رضي الله عنه (وقت في قص الشارب وتقليم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة أن لا نترك أكثر من أربعين ليلة). (١٦)

سادساً: الختان:

وهو من أوكد سنن الفطرة وأهمها وسيأتي تفصيله.

http://kotob.has.it

سابعاً: تقليم الأظافر:

هي من الأمور المجمع على سُنية إزالتها، وسواء فيه الرجل والمرأة واليدان والرجلان لما في تربيتها من مضار صحية خصوصاً إذا أهملت فلم يتم تنظيفها أو العناية بها.

ثامناً: الاستحداد:

وهو حلق العانة. سمي استحداداً لاستعمال الحديد وهو الموس، ويكون بالحلق والنتف وغير ذلك.

تاسعاً: المضمضة والاستنشاق:

والمضمضة هي تحريك الماء في الفم، أما الاستنشاق فهو إخراج الماء من الأنف.

عاشراً: انتقاص الماء (الإستنجاء):

وهو إزالة النجاسة الخارجة من السبيلين عن مخرجها. (١٧)

الختان:

الختان: هو قطع جميع الجلدة التي تغطي حشفة ذكر الرجل، وفي المرأة قطع أدنى جزء من الجلد التي في أعلى الفرج. (١٨)

وقد جعل الختان رأس خصال الفطرة، (١٩) وكان الختان في الأمم المسلمة السابقة، وأخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ختان أبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اختتن إبراهيم النبي عليه السلام بعد ثمانين سنة واختتن بالقدوم». (٢٠) وقد استمر الختان بعده في الرسل وأتباعهم حتى المسيح فإنه اختتن والنصارى تقر بذلك ولا تجحده. (٢١)

وكان الختان معروفاً عند العرب قبل مبعث نبي الهدى محمد صلى الله عليه وسلم. فعن ابن عباس رضي الله عنهما «أن أبا سفيان بن حرب أخبره

http://kotob.has.it

أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش .... فقال لهم ..... [٢٢] إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر فمن يختتن من هذه الأمة؟ قالوا ليس يختتن إلا اليهود فلا يهمك شأنهم، واكتب إلى مدائن ملكك فيقتلوا من فيهم من اليهود، فبينما هم على أمرهم أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما استخبره هرقل قال: اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا؟، فنظروا إليه فحدثوه أنه مختتن وسأله عن العرب فقال: هم يختتنون. فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر». [٢٣]

قال ابن عبد البر في الإستيعاب: (وفيه دليل على أن العرب كانت تختتن، وأظن ذلك من جهة مجاورتهم في الحجاز لليهود). [٢٤]

واعتقد إن الأولى أن يكون ذلك اتباعاً لملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام وقد بقيت هذه السنة فلم تحرف أو تنسى، وكان العرب يفاخرون بأنهم – حسب ادعائهم – على ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

ومما يستدل عليه من هذا الحديث هو أن الختان كان في بني إسرائيل، وهو في شريعة موسى عليه الصلاة والسلام، ولا يزال اليهود يختتنون إلى الآن. أما النصارى، فبعض الطوائف تختتن وبعضها تنكره.

ما يلحق بسنن الفطرة:

النهي عن كل ما فيه تغيير لخلق الله عز وجل:

قال تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيداً لَّعَنَهُ اللّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِيناً﴾ [النساء: ١١٧-١١٩].

ومن هذا التغيير الذي أحدثته البشرية وَصْلُ الشعر.

عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أنه سمع معاوية بن أبي سفيان عام حج، وهو على المنبر وتناول قصعة من شعر كانت في يد حرس [٢٥] يقول: يا أهل المدينة، أين علماؤكم؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن مثل هذه ويقول: «إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتخذ هذه نساؤهم». [٢٦]

http://kotob.has.it

وقد حاول البعض معارضة الفطرة فكان الوشم والنمص والتفلج. عن عبد الله رضي الله عنه مرفوعاً «لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله». (٢٧)

والوشم: هو أن يتم غرز إبرة أو مسلة أو نحوها في ظهر الكف أو المعصم أو الشفة. أما النامصة: فهي التي تزيل الشعر من الوجه... وإن النهي إنما هو في الحواجب. أما تفلج الأسنان فهو أن يبرد ما بين الأسنان والثنايا والرباعيات... وتفعل ذلك العجوز أو من قاربها في السن إظهاراً للصغر وحسن الأسنان. (٢٨)

بل بلغت مصادمة الفطرة عند البعض فترجلت بعض النساء، وتخنث بعض الرجال. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال «لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال». (٢٩)

تحريم الخمر:

الخمر هي أم الخبائث التي نهى الله عز وجل عنها لما فيها من أضرار كثيرة على الفرد والمجتمع وهي طريق لجميع الكبائر والمحرمات.

ففي حديث الإسراء والمعراج «فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل صلى الله عليه وسلم اخترت الفطرة» (٣٠). ومن الأدلة على تحريم الخمر، ما ورد عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن أبا بكر وعمر وناساً جلسوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فذكروا أعظم الكبائر فلم يكن عندهم فيها علم فأرسلوني إلى عبد الله بن عمرو أسأله، فأخبرني أن أعظم الكبائر شرب الخمر فأتيتهم فأخبرتهم فأكثروا ذلك، ووثبوا إليه جميعاً حتى أتوه في داره فأخبرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن ملكاً من ملوك بني إسرائيل أخذ رجلاً فخيره بين أن يشرب الخمر أو يقتل نفساً أو يزني أو يأكل لحم خنزير أو يقتلوه، فاختار الخمر، وإنه لما شرب الخمر لم يمتنع من شيء أرادوه منه، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا (حينئذ) ما من أحد يشربها فتقبل له صلاة أربعين ليلة ولا يموت وفي مثانته منه شيء إلا حرمت بها عليه الجنة فإن مات في أربعين ليلة مات ميتة جاهلية» (٣١).

http://kotob.has.it

ويلحق بخصال الفطرة أيضاً كلّ ما فيه خير للناس والبشرية جمعاء كالعفة بسن الزواج وتحريم الزنا والفاحشة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً...﴾ [الرعد: ٣٨]، وكذلك بر الوالدين وصلة الأرحام والجيران والمحافظة على الأخلاق الحميدة والكريمة بل والمحافظة على كرامة الإنسان حياً، فحرم قتله، قال سبحانه بعد ذكر قصة ابني آدم عليه الصلاة والسلام ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً...﴾ [المائدة: ٣٢].

ومنع الاعتداء عليه فشرع القصاص، قال سبحانه عن تلك الأحكام التي أنزلها على بني إسرائيل في التوراة: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، وحافظ على كرامته ميتاً فشرع الدفن ﴿فَبَعَثَ اللّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ...﴾ [المائدة: ٣١]، وحرّم اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد وكل ما فيه اتباع لخطوات الشيطان لعنه الله. وفي الحديث «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبداً حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً». (٣٢)

إضافة إلى ذلك فقد دعت الفطرة إلى إصلاح الجسد والعناية به من التزين والطيب قال سبحانه: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

http://kotob.has.it

الهوامش

(١) فقه السنة، سيد سابق ج١: ٣٧ بتصرف.

(٢) المجموع شرح المهذب للشيرازي، محي الدين بن شرف النووي ج١: ٣٢٤-٣٥٢.

(٣) أنظر على سبيل المثال سنن الفطرة، الأمين الحاج محمد أحمد، وسنن الفطرة وآثارها التربوية، صالح أبو عراد الشهري.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني صفحة ٦٤٠.

(٥) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، مطبوع مع فتح الباري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ج٣: ٢١٩ ح [١٣٥٩]، وصحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، مطبوع مع شرح النووي، محي الدين بن شرف النووي ج١٦: ٢٠٧-٢٠٩.

(٦) كل مولود يولد على الفطرة، تقي الدين السبكي صفحة ١٦-١٧.

(٧) البخاري مع الفتح ج١١: ٨٨ ح [٦٢٩٧]، مسلم مع الشرح ج٣: ١٤٦ ح [٤٩]، واللفظ له.

(٨) مسلم مع الشرح ج٣: ١٤٧-١٤٨، قال النووي (والأولى أن تكون الختان).

(٩) المجموع ج١: ٣٣٨.

(١٠) شرح مسلم ج٣: ١٤٧-١٤٨.

(١١) المجموع ج١: ٣٤٠.

(١٢) البخاري مع الفتح ج١٠: ٣٤٩ ح [٥٨٩٢]، ومسلم مع الشرح ج٣: ١٤٦-١٤٧.

(١٣) المجموع ج١: ٣٢٦.

(١٤) أخرجه النسائي وأحمد والبيهقي، وصححه النووي في المجموع ج١: ٣٢٤، والألباني، إرواء الغليل ج١: ١٠٥ ح [٦٦]، والأرناؤوط في المسند ج٤١: ٤٠٤-٤٠٥ ح [٢٤٩٢٥].

(١٥) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت ج٣٢: ١٨٥.

(١٦) مسلم مع الشرح ج٣: ١٤٦.

(١٧) موسوعة فقه الطبري وحماد بن أبي سلمة، د. محمد رواسي قلعة جي صفحة ٤٣.

http://kotob.has.it

(١٨) موسوعة فقه الطبري وحماد بن أبي سلمة صفحة ١١٤.

(١٩) كما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم «خمس من الفطرة الختان والإستحداد...».

(٢٠) البخاري مع الفتح ج٦: ٣٨٨ ح [٣٣٥٦]، ومسلم مع الشرح ج١٥: ١٢٢، وقد عقب ابن كثير على هذا الحديث فقال (والمقصود إنه عليه السلام كان لا يشغله القيام بإخلاص لله عز وجل وخشوع العبادة العظيمة عن مراعاة مصلحة بدنه، وإعطاء كل عضو ما يستحقه من الإصلاح والتحسين)، قصص الأنبياء صفحة ٢١٦-٢١٧.

(٢١) تحفة المودود بأحكام المولود، محمد بن أبي بكر الرازي المعروف بابن قيم الجوزية صفحة ١٣٩.

(٢٢) أي هرقل للبطارقة.

(٢٣) البخاري مع الفتح ج١: ٤٣-٤٦ ح [٧].

(٢٤) الاستيعاب في أسماء الأصحاب، لابن عبد البر ج١: ٢٢.

(٢٥) هي شعر مقدمة الرأس المقبل على الجبهة، وقيل شعر الناصية، والحرس كالشرطي، وهو غلام الأمير، شرح مسلم للنووي ج١٤: ١٠.

(٢٦) البخاري مع الفتح ج٦: ٥١٢ ح [٣٤٦٨]، ومسلم مع الشرح ج١٤: ١٠٨-١٠٩. وقد نقل النووي كلام القاضي عياض فقال: (قال القاضي قيل يحتمل أنه كان محرماً عليهم فعوقبوا باستعماله وهلكوا بسببه، وقيل يحتمل أن الهلاك كان به وبغيره مما ارتكبوه من المعاصي فعند ظهور ذلك فيهم هلكوا وفيه معاقبة العامة بظهور المنكر).

(٢٧) البخاري مع الفتح ج٨: ٦٣٠ ح [٤٨٨٦]، ومسلم مع الشرح ج١٤: ١٠٥-١٠٦.

(٢٨) شرح مسلم ج١٤: ١٠٦، بتصرف يسير.

(٢٩) البخاري مع الفتح ج١٠: ٣٣٢ ح [٥٨٨٥] وعند ابن حبان (لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس ملابس الرجل)، وصححه الأرناؤوط، الإحسان ج١٣: ٦٣ ح [٥٧٥١].

(٣٠) البخاري مع الفتح ج٨: ٣٩١ ح [٤٠٧٩]، ومسلم مع الشرح ج٢: ٢١١-٢١٢.

(٣١) رواه الطبراني بإسناد صحيح، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، وصححه الألباني، السلسلة الصحيحة ج٦: ٤٣٨ ح [٢٦٩٥].

(٣٢) مسلم مع الشرح ج١٧: ١٩٧ ح [٦٣].

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الطـهارة

عن أبي وائل قال كان أبو موسى الأشعري يشدد في البول ويقول: «إن بني إسرائيل كان إذا أصاب ثوب أحدهم قرضه».

البخاري مع الفتح ج١: ٣١٤ ح [٢٢٦].

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الطـهارة:

قدّم الفقهاء الحديث عن الطهارة، لأن الطهارة مفتاح الصلاة، وشرط من شروط صحة الصلاة، والشرط مقدم على المشروط.

والطهارة في اللغة: هي النظافة والخلوص من الأوساخ الحسية كالأنجاس من بول وغيره، والمعنوية كالعيوب والمعاصي. وقد وصف قوم لوط لوطاً عليه وعلى آله الصلاة والسلام وأتباعه بالمتطهرين ﴿...أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٦]، وقد اهتم الإسلام بكلا الجانبين فلا تنفع طهارة الظاهر إلاّ مع طهارة الباطن. أما الجانب الذي يُبحث في هذا الكتاب فهو الجانب الحسي.

والطهارة شرعاً: هي الخلو من الحدث أو النجس. (١)

وقد خاطب الله عز وجل إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام فقال: ﴿... وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥].

الحيض:

لغة: السيلان، يقال حاض الوادي إذا سال، وحاضت الشجرة إذا سال صمغها.

أما شرعاً: فهو دم ينفضه رحم امرأة بالغة لا داء بها ولا حبل ولم تبلغ سن اليأس. (٢)

والحيض مانع لعدد من العبادات كالصلاة والصيام ودخول المسجد

http://kotob.has.it

وتلاوة القرآن الكريم، وقد ذكر عن الأمم المسلمة السابقة عدد من هذه الأحكام منها:

منع الحائض من الصلاة ودخول المساجد:

فالحائض غير مكلفة بالصلاة أثناء فترة حيضها، وتحرم عليها الصلاة وهذا من الأمور المجمع عليها بين الفقهاء، وكذلك يحرم عليها المكوث في المسجد على الراجح، والآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تبين أن هذا الحكم قد شرع على من قبلنا.

وقد جاء الحديث عن ذلك في قصة ولادة البتول مريم بنت عمران رضي الله عنها للمسيح عيسى عليه الصلاة والسلام:

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِياً فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً﴾ [مريم: ١٦-٢٣].

وقد عقب الإمام الزمخشري على هذه الآيات فقال: (تخلت [٣] للعبادة في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس أو من دارها معتزلة عن الناس، وقيل قعدت في مشرفة للاغتسال من الحيض متحجبة بحائط أو بشيء يسترها وكان موضعها المسجد فإذا حاضت تحولت إلى بيت خالتها فإذا طهرت عادت إلى المسجد). [٤]

وعن امرأة عمران أم مريم رضي الله عنهما قال عز وجل: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٥-٣٦].

http://kotob.has.it

قال ابن العربي معقباً على قوله عز وجل: ﴿...وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى...﴾: (يحتمل أن تريد به في كونها تحيض ولا تصلح في تلك الأيام للمسجد). [٥]

أما الأحاديث النبوية فهي زاخرة في بيان هذه المسألة:

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان نساء بني إسرائيل يتخذن أرجلاً من خشب يتشوفن للرجال في المساجد فحرم الله عليهن المساجد، وسلط عليهن الحيضة». [٦]

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «كان الرجال والنساء في بني إسرائيل يصلون جميعاً، فكانت المرأة لها الخليل تلبس القالبين تطول بهما لخليلها، فألقى عليهن الحيض، فكان ابن مسعود يقول: أخروهن حيث أخرهن الله، فقلنا لأبي بكر: ما القالبين؟ قال: رقيصين من خشب». [٧]

على أن هذا الحديث أوقع إشكالاً عند بعض العلماء في قوله: «وسلط عليهن الحيضة»، فإن هذا يخالف ما جاء في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها: «خرجنا لا نرى إلاّ الحج فلما كنا بسرف حضت فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي. قال مالك أنفست؟ قلت: نعم. قال: إن هذا أمر كتبه الله على بنات آدم». [٨]

فهل ابتداء الحيض كان على نساء بني إسرائيل أم قبل ذلك؟

وقد أجاب العلماء عن ذلك، منهم ابن حجر في فتح الباري (وقال الداودي: ليس بينهما مخالفة فإن نساء بني إسرائيل من بنات آدم فعلى هذا فقوله: «بنات آدم» عام أريد به الخصوص. قلت [٩] ويمكن أن يجمع بينهما مع القول بالتعميم بأن الذي أرسل على نساء بني إسرائيل طول مكثه بهن عقوبة لهن لا ابتداء وجوده... وروى الحاكم وابن المنذر بإسناد صحيح عن ابن عباس «إن ابتداء الحيض كان على حواء بعد أن هبطت من الجنة» وإذا كان ذلك فبنات آدم بناتها). [١٠]

وقد أدى خروج غالب نساء بني إسرائيل عن الحشمة والحياء إلى منعهن من الذهاب إلى المساجد اتقاء للفتنة. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (لو أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء لمنعهن المسجد كما منعه نساء بني إسرائيل. قال: فقلت لعمرة: أنساء بني إسرائيل منعن المسجد؟ قال نعم). [١١]

http://kotob.has.it

تحريم مجامعة الحائض:

روى مسلم وأبو داود من حديث أنس – رضي الله عنه – قال: «إن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها، ولم يجامعوهن في البيوت، فسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ...﴾ [البقرة: ٢٢٢]. فقال الرسول صلى الله عليه وسلم اصنعوا كل شيء إلا النكاح. فبلغ ذلك اليهود فقالوا ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه. فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا يا رسول الله إن اليهود تقول كذا وكذا، فلا نجامعهن، فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا أن قد وجد عليهما، فخرجا فاستقبلهما هدية من لبن إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل في آثارهما فسقاهما فعرفا أن لم يجد عليهما». (١٢)

وقد اخترت منع الجماع دون منع المؤاكلة والمشاربة لأن هذا الحكم له شاهد في شريعتنا، إضافة إلى الضرر الذي يقع على المرأة عند مجامعتها وهي حائض. وقد وصف الله سبحانه الحيض بأنه أذى فقال سبحانه: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ...﴾ [البقرة: ٢٢٢]. أما عدم المؤاكلة فذلك – والله أعلم – من تغيير اليهود لما جاء به موسى عليه السلام وغيره من الأنبياء، ومن تشددهم ومغالاتهم. وحياة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته مع زوجاته رضي الله عنهن تخالف هذا الأمر، بل إن المرأة تكون في هذا الوقت بحاجة إلى أشد العطف والرعاية لما يعتريها من آلام جسدية ونفسية.

التطهر من البول:

عن أبي وائل قال كان أبو موسى الأشعري يشدد في البول ويقول: «إن بني إسرائيل كان إذا أصاب ثوب أحدهم قرضه. فقال حذيفة ليته أمسك. أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سباطة قوم فبال قائماً». (١٣)

وعن عبد الرحمن بن حسنة رضي الله عنه قال: «خرج علينا رسول الله صلى

http://kotob.has.it

الله عليه وسلم وفي يده كهيئة الدرقة فوضعها ثم جلس خلفها فبال إليها، فقال بعض القوم: انظروا إليه يبول كما تبول المرأة، فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أو ما علمت ما أصاب صاحب بني إسرائيل كانوا إذا أصابهم شيء من البول قرضوه بالمقاريض فنهاهم صاحبهم فعذب في قبره». (١٤)

والأحاديث تدل على وجوب الطهارة من النجاسات خاصة البول على الأمم السابقة. وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عامة عذاب القبر إنما هو بسبب عدم الطهارة والاستنزاه من البول، (١٥) وكثير من النصوص عامة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ولمن سبقها من الأمم. أما قرض الثياب لتطهيرها من النجاسات فربما أن هذا الحكم خاص ببني إسرائيل لما عرف من تشديدهم على أنفسهم وانحراف البعض منهم، والله أعلم.

http://kotob.has.it

الهوامش

(١) موسوعة فقه الطبري وحماد صفحة ٢٠٠، المفردات صفحة ٥٢٥، الموسوعة الفقهية ج٣١: ١٩٤.

(٢) موسوعة فقه الطبري صفحة ١١١، المفردات صفحة ٢٦٥، الموسوعة الفقهية ج١٨: ٢٩١.

(٣) أي مريم رضي الله عنها.

(٤) الكشاف عن حقائق وغموض التنزيل، محمود بن عمر بن محمد الزمخشري ج٣: ٨-٩.

(٥) أحكام القرآن، لابن العربي المالكي ج١: ٣١٧.

(٦) المصنف، عبد الرزاق بن همام الصنعاني ج٣: ٥٨ ح [٥١٢٨].

(٧) المرجع السابق ج٣: ٥٨ ح [٥١٢٩]، وأخرجه ابن خزيمة في (صحيحه) ج٣: ٩٩ ح [١٧٠٠]، وقد صحح ابن حجر هذا الحديث، فتح الباري ج١: ٥١٩، وقال (وهذا وإن كان موقوفاً فحكمه حكم الرفع لأنه لا يقال بالرأي)، فتح الباري ج٢: ٣٥٠، وقال الألباني في تعليقه على صحيح ابن خزيمة (إسناده صحيح موقوف) قلت: والصحيح قول ابن حجر.

(٨) البخاري مع الفتح ج١: ٥١٩ ح [٢٩٤]، ومسلم مع الشرح ج٨: ١٤٦-١٤٧. وسرف: هي موضع بالقرب من مكة، معجم البلدان، ياقوت الحموي ج٣: ٢٣٩.

(٩) أي ابن حجر.

(١٠) فتح الباري ج١: ٤٧٧.

(١١) البخاري مع الفتح ج٢: ٣٤٩ ح [٨٦٩]، ومسلم مع الشرح ج٤: ١٦٣-١٦٤.

(١٢) مسلم مع الشرح ج٣: ٢١١-٢١٢، وأبو داود ج١: ١١٧ ح [٢٥٨].

(١٣) البخاري مع الفتح ج١: ٤٢٩ ح [٢٢٦]، ومسلم مع الشرح ج٣: ١٦٧، وفيه عند مسلم «إن بني إسرائيل كان إذا أصاب جلد أحدهم بول قرضه بالمقاريض».

http://kotob.has.it

(١٤) أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجة وأحمد وابن حبان، وصححه الألباني، صحيح الترغيب والترهيب ج١: ٦٧ ح [١٥٦]، والأرناؤوط المسند ج٢٩: ٢٩٣ ح [١٧٧٥٨].

(١٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكثر عذاب القبر من البول». أخرجه أحمد وابن ماجه والحاكم، وصححه الألباني، إرواء الغليل ج١: ٣١١ ح [٢٨٠].

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الوضوء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هاجر إبراهيم بسارة، دخل بها قرية بها ملك من الملوك - أو جبار من الجبابرة - فأرسل إليه أن أرسل إلي بها، فأرسل بها فقام إليها، فقامت توضأ وتصلي، فقالت: اللهم إن كنت آمنت بك وبرسولك فلا تسلط علي الكافر، فغط حتى ركض برجله».

البخاري مع الفتح ج١٢: ٣٢١ ح [٦٩٥٠].

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الوضوء

الوضوء شرط من شروط صحة الصلاة، ويذكر الوضوء أولاً لأنه يرفع فيه الحدث الأصغر، أما الغسل فإنه يرفع الحدث الأكبر.

الوضوء في اللغة بضم الواو: هو اسم للفعل أي استعمال الماء في أعضاء مخصوصة، وهو المراد هنا، مأخوذ من الوضاءة والحسن والنظافة. أما بفتح الواو: فيطلق على الماء الذي يُتوضأ به.

أما شرعاً: نظافة مخصوصة، أو هو أفعال مخصوصة مفتتحة بالنية، وهو غسل الوجه واليدين والرجلين ومسح الرأس. أو هو: استعمال ماء طهور في الأعضاء الأربعة (أي السابقة) على صفة مخصوصة في الشرع. [١]

فرض الوضوء على الأمم السابقة:

اختلف العلماء في كون الوضوء فرض على المسلمين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة، أو على جميع المسلمين السابقين من الأمم السابقة. فذهب بعض العلماء إلى أن الوضوء إنما هو خصوصية لأمة محمد صلى الله عليه وسلم [٢] واستدلوا بقوله صلى الله عليه وسلم: «إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل». [٣]

وذهب جمهور من العلماء [٤] إلى أنه ليس مختصاً بها، وإنما المخصوص بها هو الغرة والتحجيل، [٥] وأن الوضوء هو شرع من قبلنا.

http://kotob.has.it

وقد استدلوا بما يلي:

أولاً: قول النبي صلى الله عليه وسلم: «هذا وضوئي ووضوء الأنبياء من قبلي». (٦)

فهذا نص صريح على تكليف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالوضوء، وما يكلف به الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام يكلف به أهل الإيمان من أتباعهم.

ثانياً: ما ورد في قصة جريج العابد لما رموه بالمرأة وفيه «فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه وسبوه، فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام ...». (٧)

ثالثاً: وفي قصة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام وسارة رضي الله عنها عندما همّ الجبار أن يدنو منها توضأت وصلّت ودعت الله عز وجل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هاجر إبراهيم بسارة، دخل بها قرية بها ملك من الملوك – أو جبار من الجبابرة – فأرسل إليه أن أرسل إلي بها، فأرسل بها فقام إليها، فقامت توضأ وتصلي، فقالت: اللهم إن كنت آمنت بك وبرسولك فلا تسلط عليّ الكافر، فغط حتى ركض برجله». (٨)

وقد ردّ أصحاب القول الأول القائلين بالخصوصية بما يلي:

أولاً: أن الحديث «هذا وضوئي ووضوء الأنبياء من قبلي» حديث ضعيف لا يصلح الاستدلال به.

ثانياً: على فرض صحته، يحتمل الحديث أن يكون الوضوء خاصاً بالأنبياء عليهم السلام دون أممهم.

ثالثاً: حمل الوضوء الوارد في الأحاديث على المعنى اللغوي دون المعنى الشرعي.

وقد ردّ الجمهور على هذه الأقوال بما يلي:

أولاً: أن الحديثين الصحيحين لهما دلالة قوية ولا يضرهما ضعف حديث «هذا وضوئي...».

http://kotob.has.it

ثانياً: لقد ورد في الأحاديث النبوية وضوء سارة رضي الله عنها والعابد جريج، ومعلوم بأنهما ليسا من الأنبياء، فيبطل بذلك قول اختصاص الأنبياء بالوضوء دون أممهم.

ثالثاً: أما حمل الوضوء على المعنى اللغوي فرد عليه ابن عابدين بقوله: (أقول حيث ثبت الوضوء الشرعي للأنبياء بحديث «هذا وضوئي» فحمل الوضوء الثابت لأممهم بالقصتين المذكورتين على المعنى اللغوي لا بد له من دليل لأن الأصل عدم الفرق). (٩)

رابعاً: قال ابن حجر: (أن الذي اختصت به هذه الأمة هو الغر والتحجيل لا أصل الوضوء وقد صرح بذلك في رواية الإمام مسلم عن أبي هريرة أيضاً مرفوعاً قال: «سيما لكم ليست لأحد غيركم»). (١٠)

قلت: ومن الأدلة على أن الوضوء ليس من خصائص أمة محمد صلى الله عليه وسلم أن التيمم عُدّ من خصائص هذه الأمة كما ورد في الحديث الشريف «جعلت لي الأرض مسجداً وترابها طهوراً». ومن هنا فإن مفهوم المخالفة في الحديث الشريف يقضي بأن الوضوء ليس من الخصوصيات وإلا لذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك.

ونستأنس بذكر المضمضة والاستنشاق وكونهما من سنن الفطرة، وهما من السنن التي يُستحب أداؤها عند الوضوء.

نوم الأنبياء عليهم السلام:

النوم من نواقض الوضوء على خلاف بين الفقهاء، سواء في هيئة النائم أو في المدة التي استغرقها أثناء نومه. وقد خص الله سبحانه وتعالى الأنبياء عليهم السلام بعدم نقض الوضوء بالنوم، كما ذهب إلى ذلك بعض الفقهاء. (١١)

واستدلوا بما ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه يحدّث «عن ليلة أُسري بالنبي صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة: جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه – وهو نائم في مسجد الحرام – فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم. وقال آخرهم: خذوا خيرهم فكانت تلك. فلم يرهم حتى جاءوا ليلة أخرى فيما يرى قلبه، والنبي صلى الله عليه وسلم نائمة عيناه ولا ينام قلبه،

http://kotob.has.it

وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم. فتولاه جبريل، ثم عرج به إلى السماء». (١٢)

وعن عائشة رضي الله عنها في وصف قيامه وصلاته عليه الصلاة والسلام وفيه «فقلت: يا رسول الله أتنام قبل أن توتر؟ فقال: يا عائشة إن عيني تنامان ولا ينام قلبي». (١٣)

الوضوء في الجنة:

ومما يدل على فضل وشرف الوضوء أنه ذُكر في الجنان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال: «بينا أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت لمن هذا القصر قالوا لعمر فذكرت غيرته فوليت مدبراً، فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله». (١٤)

قال ابن حجر في الفتح: (وقوله تتوضأ يحتمل أن يكون على ظاهره ولا ينكر كونها تتوضأ حقيقة لأن الرؤيا في زمن التكليف، والجنة وإن كان لا تكليف فيها فذلك في زمن الاستقرار بل ظاهر قوله «تتوضأ إلى جانب قصر» أنها تتوضأ خارجة منه، أو هو على غير الحقيقة ورؤيا المنام لا تحمل دائماً على الحقيقة بل تحتمل التأويل، فيكون معنى كونها تتوضأ أنها تحافظ في الدنيا على العبادة أو المراد بقوله تتوضأ أي تستعمل الماء لأجل الوضاءة على مدلوله اللغوي وفيه بعد). (١٥)

http://kotob.has.it

الهوامش

(١) موسوعة فقه الطبري وحماد صفحة ٢٦٣، الفقه الإسلامي وأدلته، د.وهبة الزحيلي ج١: ٢٠٧-٢٠٨، الموسوعة الفقهية ج٢٩: ٩٢.

(٢) ومنهم الحليمي في (منهاجه)، كما نقل ابن حجر، فتح الباري ج١: ٢٨٤-٢٨٥.

(٣) البخاري مع الفتح ج١: ٣١٠ ح [١٣٦]، ومسلم مع الشرح ج٣: ١٣٥.

(٤) النووي، شرح مسلم ج ١٦: ١٠٨، وابن حجر، فتح الباري ج١: ٣١١، وابن عابدين في حاشيته ج١: ٩٠-٩١، والبهوتي في كشاف القناع ج١: ١٠٩، والخطيب الشربيني في مغنى المحتاج ج١: ٦١، والعيني في عمدة القاري ج٢: ٣٧٩، والقاضي عياض، إكمال المعلم ج٨: ١٣، وغيرهم.

(٥) إطالة الغرة بأن يغسل جزءاً من مقدم الرأس زائداً عن المفروض من غسل الوجه، أما إطالة التحجيل: بأن يغسل ما فوق المرفقين والكعبين، فقه السنة ج١: ٥٠.

(٦) أخرجه ابن ماجة، والبيهقي في الصغرى، والطبراني في الأوسط، وضعفه النووي شرح مسلم ج٣: ١٣٦، وابن حجر، فتح الباري ج١: ٣١١، وذهب الألباني إلى تصحيحه، السلسلة الصحيحة ج١: ٥٢٣ ح [٢٦١] فقال: (لكن للحديث شواهد كثيرة يرتقي إلى درجة الحسن إن لم نقل الصحة).

(٧) البخاري مع الفتح ج٦: ٤٧٦ ح [٣٤٣٦]، وسيأتي الحديث بتمامه عند الحديث عن الصلاة.

(٨) البخاري مع الفتح ج١٢: ٣٢١ ح [٦٩٥٠]، وأحمد المسند ج١٥: ١٣٢-١٣٣ ح [٩٢٤١]، وسيأتي الحديث بتمامه عند الحديث عن الصلاة.

(٩) حاشية رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين الشهير بابن عابدين ج١: ٩١.

(١٠) فتح الباري ج١: ٣١١، والحديث عند مسلم مع الشرح ج٣: ١٣٥، وفيه «لكم سيما ليست لأحد من الأمم، تردون عليّ غرا محجلين من أثر الوضوء».

http://kotob.has.it

(١١) ابن عابدين ج١: ١٤٣، إعانة الطالبين ج١: ٦٠، حواشي الشرواني ج١: ١٢٦.

(١٢) البخاري مع الفتح ج٦: ٥٧٩ ح [٣٥٧٠].

(١٣) البخاري مع الفتح ج٣: ٣٣ ح [١١٤٧]، ومسلم مع الشرح ج٦: ١٧.

(١٤) البخاري مع الفتح ج٧: ٤٠ ح [٣٦٧٩]، ومسلم مع الشرح ج١٥: ١٦٣-١٦٤.

(١٥) فتح الباري ج٧: ٤٥.

http://kotob.has.it

الغسل

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بينما أيوب يغتسل عرياناً فخر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب يَحتَثي في ثوبه، فناداه ربه عز وجل: يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى يا رب، ولكن لا غنى بي عن بركتك».

البخاري مع الفتح ج١: ٥٠٢ ح[٢٧٩].

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الغسل

الغسل لغة: سيلان الماء على الشيء مطلقاً.
اصطلاحاً: هو إفاضة الماء على البدن كله مع النية. (١)

موسى عليه السلام وبنو إسرائيل:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة، ينظر بعضهم إلى سوأة بعض، وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده، فقالوا والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلاّ أنه آدر، فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر، ففر الحجر بثوبه، قال فجمع موسى بإثره يقول ثوبي حجر ثوبي حجر، حتى نظرت بنو إسرائيل إلى سوأة موسى، قالوا والله ما بموسى من بأس، فقام الحجر حتى نظر إليه قال فأخذ ثوبه، فطفق بالحجر ضرباً، قال أبو هريرة والله إنه بالحجر ندب ستة أو سبعة ضرب موسى بالحجر». (٢)

قال النووي: (وموضع الدلالة من هذا الحديث أن موسى عليه الصلاة والسلام اغتسل في الخلوة عرياناً، وهذا يتم على قول من يقول في الأصول أن شرع من قبلنا شرع لنا والله أعلم، قوله صلى الله عليه وسلم: «كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى سوأة بعض»، يحتمل أن هذا كان جائزاً في شرعهم وكان موسى عليه السلام يتركه تنزهاً واستحباباً وحياءً ومروءةً، ويحتمل أنه كان حراماً في شرعهم كما هو حرام في شرعنا، وكانوا يتساهلون فيه كما يتساهل فيه كثير من أهل شرعنا). (٣)

http://kotob.has.it

أيوب عليه الصلاة والسلام:

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: ٤١-٤٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بينما أيوب يغتسل عرياناً فخر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب يَحتَثي في ثوبه، فناداه ربه عز وجل: يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى يا رب ولكن لا غنى بي عن بركتك». (٤)

والغسل في الأحاديث الواردة سواء أريد به المعنى اللغوي بالنظافة من الأوساخ والأقذار التي تعتري الإنسان، أم الشرعي من الغسل للجنابة، أو الحيض أو نفاس أو غيرها، فهو بذلك تحقق لشرع الله تعالى، فلم يكن يتقرب إلى الله سبحانه بعدم النظافة أو عدم الاغتسال كما ابتدع ذلك بعض أتباع المسيحية المتأخرين، (٥) أو بعض جهلة الصوفية من المبتدعة في أمة محمد صلى الله عليه وسلم. وقد ذهب الدهلوي إلى أن الغسل بالمعنى الشرعي كان معروفاً عند العرب قبل البعثة المحمدية فقال (وكان الغسل من الجنابة سنة سائرة في العرب). (٦)

وقال أيضاً (وأصل موجب الغسل الجماع والحيض، وكأن هذين الأمرين كانا مسلمين في العرب قبل النبي صلى الله عليه وسلم). (٧)

وهذا على الأرجح من بقايا ملة إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام، وينطبق على العبادات والشعائر التي وجدت عند العرب قبل مبعث نبي الهدى محمد عليه الصلاة والسلام، فعن حكيم بن حزام أنه قال: (يا رسول الله، أرأيت أموراً كنت أتحنث - أو تحنثت - بها في الجاهلية من صلة وعتاق وصدقة، هل لي فيها أجر؟ قال حكيم رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أسلمت على ما سلف لك من خير»). (٨)

وأسترشد على هذا الأمر بقول ابن عابدين في حديثه عن تعبد النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة (أنه عليه الصلاة والسلام قبل مبعثه كان متعبداً بشرع من قبله، لأن التكليف لم ينقطع من بعثة آدم، ولم يترك الناس سدى قط، لتظافر روايات صلاته وصومه وحجه، ولا تكون طاعة بلا شرع لأن الطاعة موافقة الأمر). (٩)

http://kotob.has.it

الهوامش

(١) موسوعة فقه الطبري، وحماد صفحة ١١٢، المفردات صفحة ٦٠٧، الموسوعة الفقهية ج٣١: ١٩٤.

(٢) البخاري مع الفتح ج١: ٥٠٠ ح [٢٧٨]، ومسلم مع الشرح ج٤: ٣٢-٣٣، واللفظ له.

(٣) شرح مسلم ج٤: ٣٢-٣٣.

(٤) البخاري مع الفتح ج١: ٥٠٢ ح [٢٧٩].

(٥) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، للندوي صفحة ١٥١، وقد نقل عباراته عن تاريخ أوروبا لليكي.

(٦) حجة الله البالغة ج١: ١٧٣.

(٧) المرجع السابق ج١: ١٧٤.

(٨) البخاري مع الفتح ج٤: ٤١١ ح [٢٢٢٠]، ومسلم مع الشرح ج٢: ١٤٠. والتحنث: هو التعبد.

(٩) حاشية ابن عابدين ج١: ٩٠.

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الصلاة

قال تعالى: ﴿وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا﴾ [مريم: ٥٥].

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الصلاة

الصلاة من أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين. وهي أول ما يُحاسب عليه العبد يوم القيامة، (١) فإن صلحت صلح وسهل عليه سائر عمله، وإن فسدت أو نقصت فإن نتائج ذلك وخيمة على العبد. وهي أصل في العبادة (ولم تخل منها شريعة مرسل). (٢)

يقول الدكتور عبد الله الطيار: (ولما كانت الصلاة عبادة يتحقق فيها التجرد لله وحده، وتربية النفس على المعاني الإيمانية التي تُعد المؤمن لحياة كريمة في الدنيا وسعادة سرمدية في الآخرة، كانت سنة متتابعة عبر الرسالات، وصلة بخالق الأرض والسماوات وزاداً يعين النفس على التزام الطاعات والبعد عن المحرمات). (٣)

تعريف الصلاة:

الصلاة في اللغة: الدعاء والتبريك والتحميد. قال الله تعالى: ﴿...وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ...﴾ [التوبة: ١٠٣].

واصطلاحاً: هي أقوال وأفعال مخصوصة مفتتحة بالتكبير ومختتمة بالتسليم. (٤)

الآيات الكريمة الواردة في الصلاة عند الأمم السابقة:

تحدثت آيات الكتاب الكريم عن فرض الصلاة على المسلمين السابقين، وسأذكرها متتبعاً التسلسل التاريخي.

http://kotob.has.it

أولاً: قال الله عز وجل عن رسالة الأنبياء جميعاً

﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾ [مريم: ٥٨-٥٩]. قال ابن كثير: (لما ذكر تعالى حزب السعداء وهم الأنبياء عليهم السلام ومن اتبعهم من القائمين بحدود الله وأوامره المؤدين فرائض الله التاركين لزواجره، ذكر أنه ﴿...فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ...﴾ أي قرون أخر ﴿...أَضَاعُوا الصَّلَاةَ...﴾، وإذا أضاعوا الصلاة فهم لما سواها من الواجبات أضيع لأنها عماد الدين وقوامه وخير أعمال العباد). (٥)

ثانياً: إبراهيم عليه الصلاة والسلام

قال تعالى على لسان إبراهيم عليه الصلاة والسلام في دعائه: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء﴾ [إبراهيم: ٤٠].

وقال عز وجل أيضاً على لسانه: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]. (والصلاة هي الركن الأعظم في الإسلام، ولذلك فإن إبراهيم عليه السلام كان يدعو ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي...﴾ [إبراهيم: ٤٠]، وكان يدعو الله سبحانه وتعالى أن يوفق ولده وأهله وأمته لإقام الصلاة ﴿...رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ...﴾، لماذا؟ لأن للصلاة في الإسلام منزلة لا تعدوها منزلة أي عبادة أخرى فهي عماد الدين الذي لا يقوم إلا به) (٦).

ثالثاً: إسماعيل عليه الصلاة والسلام

مدحه الله عز وجل بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً﴾ [مريم: ٥٥].

فالصلاة لم تكن أمراً فردياً للرسول وحده، بل له ولأمته، وهذا مشابه لقوله تعالى مخاطباً نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا...﴾ [طه: ١٣٢].

http://kotob.has.it

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء». (٧)

رابعاً: إسحق ويعقوب عليهما الصلاة والسلام

قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكلاًّ جَعَلْنَا صَالِحِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٢-٧٣].

خامساً: شعيب عليه الصلاة والسلام

خاطبه قومه وأنكروا عليه ما ينكره عليهم من أفعال رذيلة. واعتبروا الصلاة الدافع الأساسي له لهذا الإنكار وهي الحاجز بينه وبينهم. قال تعالى: ﴿قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧].

قال الإمام الزمخشري: (كان شعيب كثير الصلوات، وكان قومه إذا رأوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم ﴿...أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ...﴾ السخرية والهزء، والصلاة إن جاز أن تكون آمرة على طريق المجاز، كما كانت ناهية في قوله ﴿...إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ...﴾ [العنكبوت: ٤٥]. وأن يقال: إن الصلاة تأمر بالجميل والمعروف كما يقال تدعو إليه وتبعث عليه، إلا أنهم ساقوا الكلام مساق الطنز وجعلوا الصلاة آمرة على سبيل التهكم بصلاته). (٨)

سادساً: بنو إسرائيل

وأكثر الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة إنما تتحدث عنهم وعن أخبارهم ليكونوا لنا عبرة. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر من سرد أخبارهم. فعن عمران بن حصين قال «كان يحدثنا عامة ليله عن بني إسرائيل، لا يقوم إلا لعظم الصلاة». (٩)

http://kotob.has.it

قال تعالى حاثاً بني إسرائيل على التمسك بالتوراة وإقامة الصلاة ﴿وَالَّذِينَ يُمَسَّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مِّعْرِضُونَ﴾ [البقرة: ٨٣].

وقال الله عز وجل أيضاً: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَقَالَ اللّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ...﴾ [المائدة: ١٢].

جاء في تفسير المنار: (إن وجه الاتصال والمناسبة بين هذه الآيات وما قبلها يعلم مما تقدم من أخذ الله الميثاق على هذه الأمة وهذا من المقاصد التي لا تختلف باختلاف الأزمنة، فكان عاماً في جميع الأمم التي بعث الله فيها الرسل... فلما ذكّرنا الله تعالى بميثاقه الذي واثقنا به على السمع والطاعة لخاتم رسله، ذكر لنا أخذه مثل هذا الميثاق على أقرب الأمم إلينا وطناً وتاريخاً وهم اليهود والنصارى، وما كان من نقضهم ميثاقه، ومن عقابه لهم على ذلك في الدنيا وما ينتظرون من عقاب الآخرة وهو أشد وأبقى لنعتبر بحالهم ونتقي حذو مثالهم). (١٠)

سابعاً: موسى عليه الصلاة والسلام

قال سبحانه مخاطباً إياه: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٨٧].

وقال عز وجل مخاطباً إياه أيضاً: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤].

قال صاحب الظلال: (والعبادة تشمل التوجه لله في كل نشاط الحياة، ولكنه يخص الذكر منها الصلاة: ﴿...وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ لأن الصلاة أكمل صورة من صور العبادة وأكمل وسيلة من وسائل الذكر، لأنها تتمحض لهذه

http://kotob.has.it

الغاية وتتجرد من كل الملابسات الأخرى، وتتهيأ فيها النفس لهذا الفرض وحده وتتجمع للاتصال بالله). (١١)

ثامناً: داود عليه الصلاة والسلام

امتحن الله عز وجل نبيه داود عليه السلام بأن أرسل إليه ملكين على صورة رجلين وطلبا منه أن يحكم بينهما في شأن الأغنام، فكان لأحدهما تسعٌ وتسعون نعجةً وللآخر نعجة واحدة فطلب الأول ضم نعجة أخيه إلى نعاجه وكان أفصح وأبلغ من أخيه في طرح حجته فوافق داود عليه السلام ثم علم بأن هذا امتحان من الله تعالى ليتريث في حكمه عندما يقضي بين الناس، فما كان منه إلا أن التجأ إلى الله تعالى بالصلاة والاستغفار، قال تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤].

والمقصود بالركوع في الآية الكريمة الصلاة، فالصلاة يعبر عنها ببعض أركانها، قال تعالى: ﴿...كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: ١٩].

تاسعاً: زكريا عليه السلام

قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَـى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩].

قال الإمام الألوسي: (والمراد بالصلاة ذات الأقوال والأفعال كما هو الظاهر وعليه أكثر المفسرين. وأخرج ابن المنذر عن ثابت قال: الصلاة خدمة الله تعالى في الأرض، ولو علم الله تعالى شيئاً أفضل من الصلاة ما قال: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي...﴾). (١٢)

عاشراً: عيسى عليه الصلاة والسلام

قال الله على لسانه وهو لا يزال في المهد: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ

http://kotob.has.it

وَجَعَلَنِي نَبِيّاً وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً﴾ [مريم: ٣٠-٣١].

والوصية لا تكون إلا لأمر عظيم، وأي أمر أعظم بعد توحيد الله تعالى من إقامة الصلاة، وهي التي يقف العبد فيها أمام ربه سبحانه، فتراه قائماً وراكعاً وساجداً يبتغي رضوان الله تعالى، فهي صلة ما بين العبد وخالقه عز وجل.

أحد عشر: لقمان عليه السلام

كان من المصلين لله عز وجل وقد أمر ووعظ ابنه أن يداوم على الصلاة. قال الله تعالى على لسان لقمان مخاطباً ابنه: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

(و﴿...أَقِمِ الصَّلَاةَ...﴾ أي بجميع حدودها وشروطها ولا تغفل عنها سعياً في نجاة نفسك وتصفية سرك فإن إقامتها وهي الإتيان بها على النحو المرضي مانعة من الخلل في العمل). (١٣)

إثنا عشر: وصف الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام في التوراة والإنجيل

قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ [الفتح: ٢٩].

(فالمقصود بأثر السجود هو أثر العبادة. واختار لفظ السجود لأنه يمثل حالة الخشوع والخضوع والعبودية لله في أكمل صورها. فهو أثر هذا الخشوع... أثره في ملامح الوجه حيث تتوارى الخيلاء والكبرياء والفراهة، ويحل مكانها التواضع النبيل والشفافية الصافية والوضاءة الهادئة، والذبول الخفيف الذي يزيد وجه

http://kotob.has.it

المؤمن وضاءةً وصباحةً ونبلاً. وهذه الصورة الوضيئة التي تمثلها هذه اللقطات ليست مستحدثة، إنما هي ثابتة لهم في لوحة القدر؛ ومن ثم فهي قديمة جاء ذكرها في التوراة: ﴿...ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ...﴾ وصفتهم التي عرفهم الله بها في كتاب موسى، وبشّر الأرض بها قبل أن يجيئوا إليها ﴿...وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ...﴾ وصفتهم في بشارته بمحمد ومن معه). (١٤)

ووجه الدلالة في الآية الكريمة أن ذكر هذه الأوصاف المتعلقة بالصلاة كانت معروفة لديهم فالناس يخاطبون بما يعرفونه.

ثلاثة عشر: أهل الكتاب

والقرآن الكريم بيّن أن ما كان مطلوباً من أهل الكتاب إنما هو المحافظة على الشعائر ومنها الصلاة بعد التوحيد.

قال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَةُ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٤-٥].

عقاب تارك الصلاة:

لقد بيّن الكفار والذين سمّاهم الله عز وجل المجرمين أن سبب دخولهم النار إنما هو بسبب جحودهم وإنكارهم للصلاة. فقال الله تعالى: «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر: ٣٨-٤٣].

فلم يذكروا شيئاً من الأعمال عذبوا عليها قبل تركهم الصلاة. قال الزمخشري (فإن قلت: لم يسألونهم وهم عالمون بذلك؟ قلت: توبيخاً لهم وتحسيراً، وليكون حكاية الله ذلك في كتابه تذكرة للسامعين). (١٥)

الصلاة في الأحاديث النبوية:

وردت الصلاة عند الأمم السابقة في الأحاديث النبوية الشريفة على صلوات مختلفة، منها ما يدل على وجود صلاة الفريضة، أو صلاة النافلة (التطوع)،

http://kotob.has.it

ومنها دعاء الحاجة عند حدوث مكروه والالتجاء إلى الله عز وجل بالصلاة ليفرج الكرب وقد أطلق عليه بعض الفقهاء اسم صلاة الحاجة.

أولاً: ما ورد في قصة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وزوجته سارة مع الملك أو الجبار:

والصلاة الواردة في الحديث الشريف تدل على صلاة أو دعاء الحاجة والالتجاء إلى الله عز وجل عند الشدائد، فهو سبحانه وتعالى مفرج الكروب: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات، اثنتين في ذات الله قوله ﴿...إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]، وقوله ﴿...بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا...﴾ [الأنبياء: ٦٣]. وواحدة في شأن سارة، فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة وكانت أحسن الناس، فقال لها إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك، فإن سألك فأخبريه أنك أختي فإنك أختي في الإسلام، فإني لا أعلم في الأرض مسلماً غيري وغيرك. فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار، أتاه فقال له: لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك، فأرسل إليها فأتى بها، فقام إبراهيم عليه السلام إلى الصلاة. [فقام إليها فقامت توضأ وتصلي فقالت: اللهم إن كنت آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلط علي الكافر]، فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها فقبضت يده قبضة شديدة، فقال لها ادعي الله أن يطلق يدي ولا أضرك، ففعلت [قالت: اللهم إن يمت يقال هي قتلته فأرسل] فعاد، فقبضت أشد من القبضة الأولى فقال لها مثل ذلك، ففعلت [فقالت: اللهم إن يمت يقال هي قتلته] فعاد، فقبضت أشد من القبضتين الأوليين فقال: ادعي الله أن يطلق يدي فلك الله أن لا أضرك، ففعلت وأطلقت يده، ودعا الذي جاء بها فقال: إنكَ إنما أتيتني بشيطان ولم تأتني بإنسان فأخرجها من أرضي وأعطها هاجر [فأتته وهو قائم يصلي فأومأ بيده مهيا]، فلما رآها إبراهيم عليه السلام انصرف فقال لها: مهيم. قالت: خيراً كف الله يد الفاجر وأخدم خادماً. قال أبو هريرة: فتلك أمكم يا بني ماء السماء». (١٦)

قال ابن كثير: (وكان إبراهيم عليه السلام من وقت ذهب بها إلى الملك قام

http://kotob.has.it

يصلي لله عز وجل، ويسأله أن يدافع عن أهله وأن يرد بأس هذا الذي أراد أهله بسوء، وهكذا فعلت هي أيضاً، فلما أراد عدو الله أن ينال منها أمراً، قامت إلى وضوئها وصلاتها ودعت الله عز وجل بما تقدم من الدعاء العظيم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ...﴾ [البقرة: ٤٥]. فعصمها الله وصانها). (١٧)

ثانياً: ما ورد في قصة العابد جريج

والصلاة في هذا الحديث هي على نوعين: صلاة النافلة (التطوع) والصلاة في الالتجاء لله عز وجل عند حدوث مكروه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى بن مريم، وصاحب جريج، وكان جريج رجلاً عابداً فاتخذ صومعة فكان فيها، فأتته أمه وهو يصلي، فقالت: يا جريج. فقال يا رب، أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته فانصرفت. فلما كان من الغد أتته وهو يصلي، فقالت: يا جريج. فقال يا رب أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته، فقالت: اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات، فتذاكر بنو إسرائيل جريجاً وعبادته، وكانت امرأة بغي يتمثل بحسنها، فقالت: إن شئتم لأفتننه لكم فتعرضت له فلم يلتفت إليها، فأتت راعياً كان يأوي إلى صومعته فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت. فلما ولدت قالت هو من جريج. فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شأنكم. قالوا: زنيت بهذه البغي فولدت منك. فقال: أين الصبي؟ فجاءوا به، فقال: دعوني حتى أصلي، فصلى. فلما انصرف أتى الغلام فطعن بطنه وقال يا غلام من أبوك ؟ قال : فلان الراعي». (١٨)

قال الإمام النووي: (فيه قصة جريج رضي الله عنه، وأنه آثر الصلاة على إجابتها فدعت عليه فاستجاب الله لها. قال العلماء هذا دليل على أنه كان الصواب في حقه إجابتها، لأنه كان في صلاة نفل والاستمرار فيها تطوع لا واجب. وإجابة الأم وبرها واجب وعقوقها حرام، وكان يمكنه أن يخفف الصلاة ويجيبها ثم يعود لصلاته). (١٩)

http://kotob.has.it

ثالثاً: يحيى بن زكريا وعيسى عليهما الصلاة والسلام

وهذا الحديث جامع لكثير من العبادات كالصلاة والصيام والزكاة (الصدقة) والذكر، والصلاة المذكورة إنما هي في صلاة الفريضة.

عن الحارث الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله أمر يحيى بن زكريا عليهما السلام بخمس كلمات أن يعمل بهن، وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، وكاد أن يبطيء فقال له عيسى عليه السلام إن الله قد أمرك بخمس كلمات أن تعمل بهن وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن فإما أن تبلغهن وإما أن أبلغهن، فقال يا أخي أخشى إن سبقتني أن أعذب أو أن يخسف بي، قال فجمع يحيى بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد، فقعد على الشرف فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن. وأولهن أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئا، فإن مثل ذلك رجل اشترى عبداً من خالص ماله بورق أو ذهب، فجعل يعمل ويؤدي غلته إلى غير سيده، فأيكم يَسّره أن يكون عبده كذلك، وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وآمركم بالصلاة فإن الله ينصب وجهه قبل عبده ما لم يلتفت فإذا صليتم فلا تلتفتوا، [٢٠] وآمركم بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك في عصابة كلهم يجد ريح المسك وإن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وآمركم بالصدقة فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فشدوا يده إلى عنقه وقدموا ليضربوا عنقه فقال: هل لكم أن أفتدي نفسي منكم فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فك نفسه. وآمركم بذكر الله عز وجل كثيراً، فإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعاً في أثره فأتى حصناً حصيناً فتحصن فيه وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله عز وجل». [٢١]

رابعاً: ما جاء في صلاة العصر:

وهي الصلاة الوسطى التي أمر الله عز وجل بالمحافظة عليها وحذر من تركها أو التهاون في أدائها، قال تعالى: ﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

http://kotob.has.it

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولما يبن، ولا آخر قد بنى بنياناً ولما يرفع سقفها، ولا آخر اشترى غنماً أو خلفات وهو منتظر ولادها. قال فغزا. فأدنى للقرية حيث صلاة العصر أو قريباً من ذلك فقال للشمس أنت مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها عليّ شيئاً فحبست حتى فتح الله عليه». (٢٢)

وقد ذهب أغلب شرّاح هذا الحديث الشريف إلى أن المقصود بحبس الشمس هو أن يتمكن من الفتح قبل الليل، لأن الفتح كان يوم الجمعة، فإذا دخل الليل، دخل يوم السبت الذي حرم عليهم العمل فيه. وهذا لم يرد فيه أي دليل ولا يوجد في الحديث ما يشير إليه، إنما هو منقول عن كعب الأحبار، ومما يقوي حمل الحديث على ظاهره هو تصريح النبي صلى الله عليه وسلم بفرض صلاة العصر على المسلمين السابقين، فعن أبي بصرة الغفاري رضي الله عنه قال: «صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر بالمخمص فقال: إن هذه الصلاة عرضت على من كان قبلكم فضيعوها، فمن حافظ عليها كان له أجره مرتين». (٢٣) ويقويه ما ورد في قصة سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام في عرضه للخيل، قال تعالى حاكياً عنه: ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢]. قال ابن كثير: (فقالوا اشتغل بعرض تلك الخيول حتى خرج وقت العصر وغربت الشمس، روي هذا عن علي بن أبي طالب وغيره، والذي يقطع به أنه لم يترك الصلاة متعمداً). (٢٤)

خامساً: صلاة داود عليه الصلاة والسلام:

قال صلى الله عليه وسلم: «أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفر إذا لاقى». (٢٥)

والصلاة المقصودة في هذا الحديث هي صلاة النافلة، وقيامه عليه السلام لله سبحانه في جوف الليل، وفي قوله عليه السلام «أحب الصلاة» دليل على قيامه عليه السلام بها على أحسن وأكمل وجه يحبه الله تعالى.

http://kotob.has.it

سادساً: دعاء سليمان عليه الصلاة والسلام:

عن عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن سليمان بن داود عليهما السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس سأل الله ثلاثاً فأعطاه اثنتين، ونحن نرجو أن تكون له الثالثة، فسأله حكماً يصادف حكمه فأعطاه إياه، وسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه إياه، وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد (٢٦) خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه، فنحن نرجو أن يكون الله عز وجل قد أعطاه إياها». (٢٧)

سابعاً: الصلاة في بني إسرائيل بعد موسى عليه الصلاة والسلام:

عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن بني إسرائيل استخلفوا عليهم خليفة بعد موسى صلى الله عليه وسلم، فقام يصلي ليلة فوق بيت المقدس في القمر، فذكر أموراً كان صنعها. فخرج، فتدلى بسبب فأصبح السبب معلقاً في المسجد وقد ذهب، قال: فانطلق حتى أتى قوماً على شط البحر فوجدهم يضربون لبنا أو يصنعون لبنا. فسألهم كيف تأخذون على هذا اللبن؟ قال فأخبروه، فلبن معهم، فكان يأكل من عمل يده، فإذا كان حين الصلاة قام يصلي، فرفع ذلك العمال إلى دهقانهم أن فينا رجلاً يفعل كذا وكذا، فأرسل إليه فأبى أن يأتيه، ثلاث مرات. ثم أنه جاء يسير على دابته فلما رآه فر فأتبعه فسبقه. فقال: انظرني أكلمك قال: فقام حتى كلمه فأخبره خبره فلما أخبره أنه كان ملكاً، وأنه فر من رهبة ربه قال: أني لأظنني لاحق بك قال: فاتبعه فعبدا الله حتى ماتا برمليه مصر. قال عبد الله: لو أني كنت ثم لاهتديت إلى قبرهما بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي وصف لنا». (٢٨)

وضُيعت هذه الصلاة شيئاً فشيئاً، وقد بقي من هذه الصلاة إلى زمن النبي عليه الصلاة والسلام بعض الهيئات، فكان منه الأمر عليه السلام بمخالفتهم حتى تتميز صلاتنا عن صلاتهم، فعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم». (٢٩)

http://kotob.has.it

ثامناً: بقاء أثر السجود بعد الموت:

عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خرجت طائفة من بني إسرائيل حتى أتوا مقبرة لهم من مقابرهم. فقالوا: لو صلينا ركعتين ودعونا الله عز وجل أن يخرج لنا رجلاً ممن قد مات نسأله عن الموت. قال: ففعلوا. فبينما هم كذلك إذ أطلع رجل رأسه من قبر من تلك المقابر خلاسي بين عينيه أثر السجود فقال: يا هؤلاء ما أردتم لي؟ فقد مت منذ مائة سنة فما سكنت عني حرارة الموت حتى كان الآن فادعوا الله عز وجل أن يعيدني كما كنت». (٣٠)

تاسعاً: الأنبياء يفزعون إلى الصلاة عند الحاجة والشدائد:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى، وكذلك حال الأنبياء السابقين عليهم السلام، فعن صهيب رضي الله عنه قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى همس شيئاً لا أفهمه ولا يخبرنا به فقال: «أفطنتم لذلك؟ إني ذكرت نبياً من الأنبياء أعطي جنوداً من قومه، فقال: من يكافئ هؤلاء أو من يقاتل هؤلاء أو كلمة شبهها، فأوحى الله إليه أن اختر لقومك إحدى ثلاث: أن أسلط عليهم عدوهم، أو الجوع، أو الموت فاستشار قومه في ذلك؟ فقالوا: نكل ذلك إليك، أنت نبي الله فقام يصلي، وكانوا إذا فزعوا فزعوا إلى الصلاة، فقال يا رب أما الجوع أو العدو فلا، ولكن الموت. فسلط عليهم الموت ثلاثة أيام فمات منهم سبعون ألفاً. فهمسي الذي ترون أني أقول: اللهم بك أقاتل وبك أصاول ولا حول ولا قوة إلا بك»). (٣١)

عاشراً: صلاة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليلة الإسراء والمعراج:

كانت الصلاة العنوان الأبرز لرحلة الإسراء والمعراج، وهي العبادة التي فرضت في السماوات العلى. وفي المسجد الأقصى المبارك أمّ محمد صلى الله عليه وسلم بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فعن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعاً «وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلي، فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة، وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلي أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفي، إذا إبراهيم عليه السلام

http://kotob.has.it

قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم يعني نفسه، فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت الصلاة قال قائل منهم يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت اليه فبدأني بالسلام». (٣٢)

قال القاضي عياض: (وقد يكون الصلاة هنا بمعنى الدعاء والذكر، وهي من أعمال الآخرة، ويؤكد أحد التأويلات فيه، وأنها الصلاة المعهودة ما ذكر من أنه أمّ صلى الله عليه وسلم الأنبياء). (٣٣)

وفرضت في هذه الليلة خمسون صلاة على هذه الأمة في اليوم والليلة، فكانت مراجعة نبي الله موسى صلى الله عليه وسلم لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام ليطلب من الله سبحانه أن يخفف عن هذه الأمة، خوفاً من موسى عليه السلام أن لا تقدر هذه الأمة على ذلك كما كان الأمر من بني إسرائيل، ففي الحديث: «يا محمد والله لقد راودت بني إسرائيل قومي على أدنى من ذلك فضعفوا فتركوه». (٣٤)

كما ذكرت الأحاديث الشريفة صلاة بعض الأنبياء في قبورهم مثل سيدنا موسى(٣٥) عليه الصلاة والسلام.

أحد عشر: صلاة عيسى عليه الصلاة والسلام مأموماً وإماماً في أمة محمد صلى الله عليه وسلم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم». (٣٦) وقد قال بعض العلماء (تواترت الأخبار بأن المهدي من هذه الأمة وأن عيسى يصلي خلفه). (٣٧)

وعن مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كيف بكم إذا نزل فيكم ابن مريم فأمّكم». (٣٨)

ولا يوجد تعارض بين الحديثين، فإن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام أول ما ينزل سيكون مأموماً خلف رجل من المسلمين – وقد قيل أنه المهدي – حتى يبين للناس أنه لم يأت بشرع مخالف إنما هو تحت لواء شريعة النبي الأمي محمد صلى الله عليه وسلم، ثم يكون بعد ذلك هو الإمام والقائد للمسلمين فلا أحد أحق منه في ذلك صلى الله عليه وسلم، وهو صاحب

http://kotob.has.it

الفضيلة والمنزلة في قلب النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين أجمعين. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَنْا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد». (٣٩)

إثنا عشر: الحث على قيام الليل:

حثّ عليه الصلاة والسلام على قيام الليل، ولأن فيه نوعاً من المشقة، فقد ذكر لنا عليه السلام أن الصالحين من قبلنا كانوا يقومون به. فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وقُربة إلى ربكم ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الإثم». (٤٠)

وكان من فضل الله سبحانه وكرمه أن أعد للمتهجدين ثواباً عظيماً، فعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام، وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام». (٤١)

وهذا ليس خاصاً بالمسلمين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، بل لكل المسلمين من السابقين ممن أطال بالليل القيام.

ثلاثة عشر: صلاة العشاء هل فرضت على من قبلنا؟

عن عاصم بن حميد السكواني أنه سمع معاذ بن جبل يقول: «أبقينا النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة العتمة فتأخر حتى ظن أنه ليس بخارج والقائل منا يقول: صلى فإنا لكذلك حتى خرج النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا له كما قالوا فقال لهم: أعتموا بهذه الصلاة فإنكم قد فضلتم بها على سائر الأمم ولم تصلها أمة قبلكم». (٤٢)

وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري مرفوعاً وفيه «ما صلى هذه الساعة أحد غيركم». (٤٣)

http://kotob.has.it

فصلاة العشاء خاصة في أمة محمد صلى الله عليه وسلم زادها الله تشريفاً، ولم تفرض على الأمم السابقة. قال ابن رجب (وقد دلت الأحاديث على فضل ذكر الله تعالى في هذه الأوقات التي يغفل عموم الناس فيها، ولهذا فضل التهجد في وسط الليل على غيره من الأوقات لقلة من يذكر الله في تلك الحال). [٤٤]

أربعة عشر: صلاة أبي ذر رضي الله عنه قبل البعثة:

عن عبد الله بن الصامت قال: (قال أبو ذر خرجنا من قومنا غفار وكانوا يحلون الشهر الحرام، فخرجت أنا وأخي أنيس وأمنا فنزلنا على خال لنا، فأكرمنا خالنا وأحسن إلينا فحسدنا قومه، فقالوا إنك إذا خرجت عن أهلك خالف إليهم أنيس، فجاء خالنا فنثا علينا الذي قيل له، فقلت أما ما مضى من معروفك فقد كدرته ولا جماع لك فيما بعد فقربنا صرمتنا فاحتملنا عليها، وتغطى خالنا ثوبه فجعل يبكي، فانطلقنا حتى نزلنا بحضرة مكة فنافر أنيس عن صرمتنا وعن مثلها، فأتيا الكاهن فخير أنيسا فأتانا أنيس بصرمتنا ومثلها معها قال: وقد صليت يا ابن أخي قبل أن ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين، قلت: لمن، قال: لله، قلت فأين توجه، قال: أتوجه حيث يوجهني ربي أصلي عشاء حتى إذا كان من آخر الليل ألقيت كأني خفاء حتى تعلوني الشمس). [٤٥] وفي رواية (يا ابن أخي صليت سنتين قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم قال: قلت: فأين كنت توجه قال: حيث وجهني الله). [٤٦]

ولم يتبين لنا كيفية هذه الصلاة إلا أنه يفهم من الحديث أنها قريبة من الصلاة المعهودة، وهي على الأغلب من بقايا ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

خمسة عشر: الشفاعة للمصلين يوم القيامة:

عن أبي سعيد رضي الله عنه إن أُناساً في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حتى إذا خلص المؤمنون من النار، فوا الذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لإخوانهم الذين في النار

http://kotob.has.it

يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون معنا ويحجون معنا، فيقال لهم أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على النار، فيخرجون خلقاً كثيراً، قد أخذت النار إلى نصف ساقه، وإلى ركبته». (٤٧)

ستة عشر: باب الصلاة في الجنة:

سُميت أبواب الجنان بأسماء بعض العبادات، وللصلاة باب يُدعى إليه كل من حافظ عليها وأصبحت شغله الشاغل فلم يضيعها ولم تبعده الدنيا بزخرفها وزينتها عن أدائها بحقها. فعن أبي هريرة رضي الله عنه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من أنفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنة يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، قال أبو بكر الصديق يا رسول الله ما على أحد يدعى من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وأرجو أن تكون منهم». (٤٨)

سبعة عشر: فضل العلم والعمل:

عن الحسن سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجلين كانا في بني إسرائيل أحدهما كان عالماً يصلي المكتوبة ثم يجلس فيعلم الناس الخير، والآخر يصوم النهار ويقوم الليل، أيهما أفضل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «فضل هذا العالم الذي يصلي المكتوبة ثم يجلس فيعلم الناس الخير على العابد الذي يصوم النهار ويقوم الليل كفضلي على أدناكم». (٤٩)

الصلاة تذكرنا بامتدادنا مع من سبقنا:

عن عبد الله كنا إذا صلينا خلف النبي صلى الله عليه وسلم قلت: السلام على جبريل وميكائيل والسلام على فلان وفلان، فالتفت إلينا الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: «إن الله هو السلام فإذا صلى أحدكم فليقل: التحيات لله والصلوات الطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام

http://kotob.has.it

علينا وعلى عباد الله الصالحين. فإنكم إذا قلتموها أصابت كل عبد لله صالح في السماء والأرض، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله». (٥٠)

قال ابن حجر: (قال القفال في فتاويه، ترك الصلاة يضر بجميع المسلمين لأن المصلي يقول: اللهم اغفر لي وللمؤمنين والمؤمنات، ولا بد أن يقول في التشهد (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) فيكون مقصراً بخدمة الله وفي حق رسوله وفي حق نفسه وفي حق كافة المسلمين، ولذلك عظمت المصيبة بتركها. واستنبط منه السبكي أن في الصلاة حقاً للعباد مع الله وأن من تركها أخل بحق جميع المؤمنين من مضى ومن يجيء إلى يوم القيامة لوجوب قوله فيها (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين). (٥١)

التشابه ما بين صلاتنا وصلاة من سبقنا:

من خلال الاستعراض السابق للآيات الكريمة والأحاديث الشريفة يتبين مدى التشابه ما بين صلاتنا وصلاة الأمم السابقة، قال ابن عاشور معقباً على خطاب الله عز وجل لبني إسرائيل ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]: (والصلاة أريد بها هنا معناها الشرعي في الإسلام، وهي مجموع محامد لله تعالى قولاً وعملاً واعتقاداً، فلا جرم كانت الاستعانة المأمور بها هنا راجعة لأمرين: الصبر والشكر). (٥٢)

ويؤكد على ذلك الألوسي في تعقيبه على مخاطبة الله عز وجل لزكريا عليه الصلاة والسلام، (٥٣) وحتى يتم توضيح هذا الأمر، فإنني سأعمد إلى تقسيم الصلاة إلى شروط وأركان وواجبات وسنن، كما قسمها علماء الفقه الإسلامي،(٥٤) والتي وردت في كيفية صلاته صلى الله عليه وسلم.

شروط الصلاة:

عرّف الأصوليون والفقهاء الشرط بأنه: ما يتوقف وجود الشيء على وجوده وكان خارجاً عن حقيقته ولا يلزم من وجوده وجود الشيء لكن يلزم من عدمه عدم الشيء. وقد قسموه إلى قسمين: شرط تكليف أو وجوب، وشرط

http://kotob.has.it

صحة أو أداء. أما شروط الوجوب: فهي ما يتوقف عليها وجوب الصلاة كالبلوغ عاقلاً. وشروط الصحة: فهي ما يتوقف عليها صحة الصلاة كالطهارة. (٥٥)

شروط الوجوب:

أما شروط الوجوب فالصلاة تجب على كل مسلم بالغ عاقل، لا مانع عنده كالحيض والنفاس.

وهي بلا شك تتفق نقلاً وعقلاً مع النصوص السابقة فدين الله عز وجل هو الإسلام فهي لا تجب على كافر عند جمهور العلماء، لكنه يعاقب عليها في الآخرة لعدم أدائها.

أما البلوغ والعقل فإن الله عز وجل قد رفع القلم عن ثلاثة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن المبتلى حتى يبرأ، وعن الصبي حتى يكبر». (٥٦)

وفي إنكار موسى عليه الصلاة والسلام على الخضر عليه السلام قتله للغلام، دليل على أنه غير واقع في محل التكليف. قال عز وجل على لسان موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿...قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ [الكهف: ٧٤].

أما حدوث الأعذار في وقت الصلاة فهذا واضح من منع نساء بني إسرائيل من الصلاة ودخول المساجد عند وقت الحيض. (٥٧)

شروط صحة الصلاة:

يشترط لصحة الصلاة الإسلام والعقل والتميز وقد ذكر الفقهاء عدداً من الشروط وأذكر منها ما وجد دليل صحيح عليها:

الشرط الأول: معرفة دخول الوقت:

قال تعالى: ﴿...إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]. وقال عز وجل مخاطباً موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿...وَأَقِمِ الصَّلَاةَ

http://kotob.has.it

لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]. والوقت: هو نهاية الزمان المفروض للعمل ولهذا لا يكاد يقال إلا مقيداً. (٥٨)

وقد كان للأنبياء والمرسلين أوقات يؤدون فيها الصلاة، ويدل على ذلك حديث إمامة جبريل عليه السلام للنبي محمد صلى الله عليه وسلم وتعليمه أوقات الصلاة، كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً وفيه: «... ثم قال يا محمد هذا وقت الأنبياء من قبلك والوقت فيما بين هذين الوقتين». (٥٩)

جاء في تحفة الأحوذي: (قال ابن العربي في عارضة الأحوذي: ظاهره يوهم أن هذه الصلوات في هذه الأوقات كانت مشروعة لمن قبلهم من الأنبياء. وليس كذلك، وإنما معناه أن هذا وقتك المشروع لك يعني الوقت الموسع المحدود بطرفين الأول والآخر، وقوله وقت الأنبياء قبلك يعني ومثله وقت الأنبياء قبلك أي صلاتهم كانت واسعة الوقت وذات طرفين، وإلا فلم تكن هذه الصلوات على هذا الميقات إلا لهذه الأمة خاصة، وإن كان غيرهم قد شاركهم في بعضها. وقد روى أبو داود في حديث العشاء: أعتموا بهذه الصلاة فإنكم قد فضلتم بها على سائر الأمم. وكذا قال ابن سيد الناس وقال يريد في التوسعة عليهم في أن الوقت أولاً وآخراً لا أن الأوقات هي بعينها). (٦٠)

وفي قصة الخليفة في بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام «فإذا كان حين الصلاة قام يصلي». (٦١)

ومن الأدلة كذلك وجود صلوات في وقت مخصوص كذكر صلاة العصر، كما في حديث يوشع بن نون عليه السلام، وفي تحذير النبي صلى الله عليه وسلم من إضاعتها كما ضيعتها الأمم السابقة. وفي إمامة النبي صلى الله عليه وسلم للأنبياء حين حانت الصلاة دلالة واضحة على أن الصلاة كان لها وقت تقام فيه، ولكن يجب التنبيه أن هذا الشرط إنما هو في صلاة الفريضة وليس في صلاة النافلة أو غيرها.

الشرط الثاني: الطهارة عن الحدثين:

الحدث الأصغر كالبول وخروج الريح، والأكبر كالجنابة والحيض والنفاس. والطهارة منهما تكون بالوضوء أو الغسل. أما الحدث الأصغر وطهارته

http://kotob.has.it

بالوضوء فهذا واضح من خلال إثبات أن الوضوء هو شرع من قبلنا. أما الأكبر ففي منع الحيض من الذهاب إلى المساجد دليل على أن الوضوء لا يكفي وإنما انقضاء المدة ثم الغسل. وفي جعل التطهر بالتراب من خصائص أمة محمد صلى الله عليه وسلم دليل على أن الأمم السابقة لا يكفيها أن تتطهر من الحدث الأصغر أو الأكبر إلا بالماء والله أعلم.

وقد أخبر الله عز وجل باعتزال مريم رضي الله عنها للمسجد، قال تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٢-٢٣].

وقد تقدم تفسير هذه الآيات والتعليق عليها.

الشرط الثالث: الطهارة عن الخبث (أي النجاسة الحقيقية):

وهذا الشرط يشمل نوعين من الطهارة: طهارة الثياب وطهارة المكان.

ويدل على طهارة الثياب تعذيب من مَنع بني إسرائيل من تطهير ثيابهم من البول في قبره، إضافة إلى أمر بني إسرائيل بتقريض ثيابهم التي أصابها نجاسة. أما طهارة المكان فقد أمر الله عز وجل سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام بتطهير الكعبة وما حولها فقال عز وجل: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥]. وهذا التطهير عام يشمل الأصنام ويشمل الأوساخ والأقذار والنجاسات كما قال المفسرون. (٦٢)

الشرط الرابع: ستر العورة:

حذر الله عز وجل الإنسان من الشيطان الذي يريد له أن يبدي عورته حتى تنتشر الفاحشة والرذيلة، وذكّره بقصة سيدنا آدم عليه السلام وزوجته حواء مع إبليس لعنه الله وبما كان مراد إبليس ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا...﴾ [الأعراف: ٢٠]، ثم كانت النتيجة بعد أن عصيا أمر الله عز وجل ﴿فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا

http://kotob.has.it

سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَآنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢].

(ومعنى ذلك أن آدم وحواء وهما والدا البشرية لم يعيشا عاريين، ثم اخترعا الثياب، ولكنهما خلقا مستورين، ثم علمهما الله صنع الملابس، ويظهر ذلك من قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا...﴾ [الأعراف: ٢٦]. أي أنزلنا عليكم لباسين: لباساً يستر عوراتكم ولباساً يزينكم وتتجملون به، والريش لباس الزينة استعير من ريش الطير لأنه لباسه وزينته، ﴿...وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ...﴾ [الأعراف: ٢٦]، أي ولباس الورع والخشية من الله تعالى خير ما يتزين به المرء، فإن طهارة الباطن أهم من جمال الظاهر، ﴿...ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ...﴾ [الأعراف: ٢٦]، أي إنزال اللباس من الآيات الدالة على فضل الله ورحمته على عباده، ﴿...لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦]، هذه النعم فيشكرون الله عليها). [٦٣]

وقد أمر الله عز وجل آدم عليه السلام وذريته بأخذ الزينة عند الوقوف أمامه سبحانه، وعند الذهاب إلى بيوت الله فقال عز وجل: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ...﴾ [الأعراف: ٣١]. [٦٤]

قال صاحب الظلال: (إنه يناديهم أن يأخذوا زينتهم من اللباس الذي أنزله الله عليهم، وهو الرياش، عند كل عبادة ومنها الطواف الذي يزاولونه عرايا، ويحرمون اللباس الذي لم يحرمه الله، بل أنعم الله به على العباد). [٦٥]

والقرآن الكريم يرد بهذا على الذين ابتدعوا في دين الله عز وجل فطافوا بالبيت عراة، وادعوا أن ذلك من القربى لله عز وجل، وأن ذلك من شرع سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام.

الشرط الخامس: استقبال القبلة:

كان السابقون مأمورين باستقبال القبلة، كما ورد في أن قبلة سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام كانت الكعبة، وأن قبلة بني إسرائيل كانت إلى بيت المقدس، وسيأتي الحديث حول هذا مفصلاً إن شاء الله.

http://kotob.has.it

الشرطان السادس والسابع: الترتيب في أداء الصلاة وموالاة أفعالها:

وقد ذهب جمهور الفقهاء إلى أن كلاً منهما شرط لأركان الصلاة. وسيأتي الحديث عنهما في أركان الصلاة.

الشرطان الثامن والتاسع: ترك الكلام الأجنبي وترك الفعل الكثير من غير جنس الصلاة:

الصلاة عبادة خالصة لله تعالى ولا يجوز فيها الكلام، وقد ذهب فقهاؤنا إلى إبطال صلاة من تكلم بحرفين مفهومين ولو لمصلحة الصلاة، مثل قم أو اقعد وكذلك هو الأمر في صلاة المسلمين السابقين.

فالأمم السابقة كانوا مأمورين بترك الأعمال التي يفعلها الإنسان خارج الصلاة، فقد جاء في حديث يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام «وآمركم بالصلاة فإن الله ينصب وجهه قبل عبده ما لم يلتفت فلا تلتفتوا». (٦٦)

وكذلك ترك الكلام الذي يخرج من الإنسان وهو في غير الصلاة، ففي قصة سيدنا إبراهيم وسارة عليهما السلام عندما جاءت مستبشرة بنجاتها من الملك فأخذتها الفرحة فأخذت تتحدث معه وهو في الصلاة «فأومأ بيده»، فلم يكلمها «فلما انصرف قال مهيم». (٦٧)

وربما يُشكل على البعض ما ورد في قصة جريج «فقال: يا رب أمي وصلاتي»، قال ابن حجر (وكل ذلك محمول على إنه قاله في نفسه لا إنه نطق به، ويحتمل أن يكون نطق به على ظاهره لأن الكلام كان مباحاً عندهم وكذلك كان في صدر الإسلام). (٦٨)

قلت والراجح هو القول الأول والدليل على ذلك ما ورد عند البخاري في الأدب المفرد «فأتت أمه يوماً فقالت: يا جريج وهو يصلي، فقال في نفسه – وهو يصلي – أمي وصلاتي». (٦٩)

الشرط العاشر: ترك الأكل والشرب:

لم يرد دليل أو نص صريح يدل على جواز الأكل أو الشرب في صلاة الأمم السابقة، ويمكن إثبات ذلك من خلال الآيات والأحاديث الآمرة بالخشوع في

http://kotob.has.it

الصلاة والنهي عن الالتفات، فإن الأكل والشرب منافيان للخشوع والطمأنينة اللذين هما أساس في الصلاة، قال تعالى في خطابه لبني إسرائيل: ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٥-٤٦].

وقد أبدع الزمخشري في تفسير هذه الآية الكريمة فقال: (﴿وَاسْتَعِينُواْ...﴾ على حوائجكم إلى الله ﴿...بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ...﴾ أي بالجمع بينهما وإن تصلوا صابرين على تكاليف الصلاة محتملين لمشاقها وما يجب فيها من إخلاص القلب وحفظ النيات ودفع الوساوس ومراعاة الآداب والاحتراس من المكاره مع الخشية والخشوع واستحضار العلم بأنه انتصب بين يدي جبار السماوات ليسأله فك الرقبة عن سخطه وعذابه). (٧٠)

أركــــان الـصـــلاة:

الركن: ما تشمل عليه الصلاة، كالركوع والسجود، ولا يسقط عمداً ولا سهواً ولا جهلاً، وسمي ركناً تشبيهاً له بركن البيت الذي لا يقوم إلا به، لأن الصلاة لا تتم إلا به.

١- النية:

جاء في الفقه الإسلامي وأدلته: (والنية واجبة في الصلاة باتفاق العلماء لتتميز العبادة عن العادة، وليتحقق في الصلاة الإخلاص لله تعالى؛ لأن الصلاة عبادة، والعبادة إخلاص العمل بكليته لله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ...﴾ [البينة: ٥]). (٧١)

قلت: وهذه الآية الكريمة المستدل بها على وجوب النية في صلاتنا إنما هي نازلة في أهل الكتاب كما أسلفنا فهم أيضاً داخلون في هذا المعنى وأولى به. ومن الأدلة كذلك طلب جريج العابد ممن جاءوا إليه أن يتركوه ليصلي ركعتين فقال: «دعوني حتى أصلي». (٧٢) وكذلك قول الجماعة من بني إسرائيل «لو صلينا ركعتين ودعونا الله عز وجل». (٧٣) وفي دعاء نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام «وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد». (٧٤)

http://kotob.has.it

٢- القيام بالفرض للقادر عليه:

والآيات الكريمة السابقة الذكر تدل على ذلك دلالة واضحة، قال تعالى مخاطباً بني إسرائيل في أكثر من موضع ﴿...وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ...﴾ [البقرة: ٨٣]، وعلى لسان لقمان ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ...﴾ [لقمان: ١٧]، وقال تعالى في شأن زكريا عليه السلام ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي...﴾ [آل عمران: ٣٩]. أما في السنة النبوية فما ورد في قصة إبراهيم وسارة عليهما السلام «فإذا هو قائم يصلي»، (٧٥) وكذلك في قصة جريج العابد «فقام فتوضأ وصلى». (٧٦)

قال ابن القيم: (﴿...وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ...﴾ [البقرة: ٨٣]، فأمر بإقامتها وهو الإتيان بها تامة القيام والركوع والسجود والأذكار، وقد علق سبحانه الفلاح بخشوع المصلي في صلاته فمن فاته خشوع الصلاة لم يكن من أهل الفلاح). (٧٧) وقال أيضاً: (قلت فلن تكاد تجد ذكر الصلاة في موضع من التنزيل إلا مقروناً بإقامتها، فالمصلون في الناس قليل، ومقيم الصلاة منهم أقل القليل). (٧٨)

٣- القراءة للقادر عليها:

من البديهي أن القرآن الكريم نزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ونحن في صلاتنا نقرأ سورة الفاتحة وما تيسر من القرآن الكريم، فماذا كان يقرأ من قبلنا ؟ فهل كانوا يقرأون من الكتب المنزلة من عند الله عز وجل مثلما نقرأ من القرآن الكريم أم أنهم كانوا يسبحون ويذكرون الله عز وجل كما أجاز بعض الفقهاء ذلك لمن عجز عن القراءة. ولا أحب أن أتكلف الإجابة ولكننا نسترشد بهذا الحديث الصحيح. عن وائل بن الأسقع قال، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، ومكان الزبور المئين، ومكان الإنجيل المثاني وفضلت بالمفصل». (٧٩)

٤- الركوع والسجود:

قال عز وجل مخاطباً بني إسرائيل: ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

http://kotob.has.it

قال ابن القيم: (إنه سبحانه وتعالى أمرهم بالركوع وهو الصلاة وعبر بالركوع لأنه من أركانها والصلاة يعبر عنها بأركانها وواجباتها كما سماها الله سجوداً وقرآناً وتسبيحاً فلا بد لقوله ﴿...مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ من فائدة أخرى وليست إلا، وفعلها مع جماعة المصلين والمعية تفيد ذلك). (٨٠)

وقال عز وجل مخاطباً مريم عليها السلام: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣].

(عن مجاهد قال في قوله تعالى ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ...﴾ قال: أطيلي الركوع يعني القنوت وعنه لما قيل لها ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ...﴾ قامت حتى ورم كعباها)، (٨١) وقد وافق الإمام الرازي رحمه الله في تفسير هذه الآية كما فسر ابن القيم رحمه الله الآية السابقة، فقال في تفسير هذه الآية (﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي...﴾ معناه يا مريم قومي، وقوله ﴿...وَاسْجُدِي...﴾ أي صلي فكان المراد من هذا السجود الصلاة، ثم قال ﴿...وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ إما أن يكون أمراً لها بالصلاة جماعة فيكون قوله ﴿...وَاسْجُدِي...﴾ أمراً بالصلاة حال الانفراد، وقوله ﴿...وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ أمراً بالصلاة في الجماعة). (٨٢)

وقد أمر الله عز وجل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بتطهير البيت للراكعين والساجدين (للمصلين) كما جاء في قوله تعالى: ﴿... وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥].

أما السنة النبوية فما ورد في دعاء الجماعة من بني إسرائيل الله جلت قدرته ليخرج أحد الموتى وفيه: «فإذا بين عينيه أثر السجود».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه «أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال: هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب... حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود، وحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار، فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود..». (٨٣)

قال النووي: (ظاهر هذا أن النار لا تأكل جميع أعضاء السجود السبعة التي يسجد الإنسان عليها وهي: الجبهة، واليدان، والركبتان، والقدمان وهكذا قاله

http://kotob.has.it

بعض العلماء، وأنكره القاضي عياض رحمه الله، وقال المراد بأثر السجود الجبهة خاصة والمختار الأول، فإن قيل قد ذكر مسلم بعد هذا مرفوعاً أن قوماً يخرجون من النار يحترقون فيها إلا دارات الوجوه، فالجواب إن هؤلاء القوم مخصوصون من جملة الخارجين من النار بأنه لا يسلم منهم من النار إلا دارات الوجوه، أما غيرهم فيسلم جميع أعضاء السجود منهم عملاً بعموم هذا الحديث فهذا الحديث عام وذلك خاص فيعمل بالعام إلا ما خص). (٨٤)

وقد جاءت الرواية تحمل معنى العموم في قوله صلى الله عليه وسلم: «فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود» فيشمل من كان من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وغيره من الأمم المسلمة.

وقد يحمل البعض الركوع والسجود على معان أخرى، فيرد عليهم بقول ابن تيمية: (فإن الركوع والسجود في لغة العرب لا يكون إلا إذا سكن حين انحنائه وحين وضع وجهه على الأرض، فأما مجرد الخفض والرفع عنه، فلا يسمى ذلك ركوعاً ولا سجوداً ومن سماه ركوعاً وسجوداً فقد غلط على اللغة فهو مطالب بدليل من اللغة على أن هذا يسمى راكعاً وساجداً حتى يكون فاعلاً ممتثلاً للأمر). (٨٥)

٥- الاعتدال من الركوع ومن السجود:

وهذا يظهر من الأمر بالركوع والسجود فإنه لا يتصور أن يهوي المصلي من الركوع إلى السجود مرة واحدة ولا يتصور أن يقوم المصلي من السجود إلى القيام دون الاعتدال.

عن زيد بن وهب قال: «رأى حذيفة رجلاً لا يتم الركوع والسجود قال ما صليت ولو مت، مت على غير الفطرة التي فطر الله محمداً صلى الله عليه وسلم عليها». (٨٦)

وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا يتم الركوع والسجود بإعادة الصلاة، كما في حديث المسيء صلاته. (٨٧)

٦- الطمأنينة:

ولا شك أن هذا يظهر بجلاء من النهي عن الالتفات في الصلاة، كما في حديث يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام، والأمر بالخشوع في الصلاة

http://kotob.has.it

حتى يتحقق الأثر الإيماني والتربوي منها، قال ابن تيمية: (ويدل على وجوب الخشوع في الصلاة أن النبي صلى الله عليه وسلم توعد تاركيه كالذي يرفع بصره إلى السماء فإن حركته ورفعه وهو ضد حال الخاشع). (٨٨)

على أنني ذكرت هذه الأركان دون غيرها لأنني وجدت أدلة عليها من الكتاب الكريم والسنة النبوية، أما باقي الأركان فلا يمنع العقل وجودها كتكبيرة الإحرام والجلوس بين السجدتين والقعود الأخير (التشهد والصلاة الإبراهيمية) والسلام وترتيب الأركان والله أعلم.

سنن الصلاة:

السنّة في اللغة: عبارة عن الطريق المعتادة المحافظ عليها، التي يتكرر الفعل بموجبها، قال تعالى ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢].

وهي تطلق عند الفقهاء على ما كان من العبادات نافلة منقولة عن النبي صلى الله عليه وسلم، أي ما ليس بواجب منها. (٨٩) وهذه السنن المنقولة عن النبي صلى الله عليه السلام كثيرة، وقد ذُكر عند السابقين عدد من السنن، منها:

أولاً: وضع اليد اليمنى على اليسرى:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنا معشر الأنبياء أمرنا بتعجيل فطرنا، وتأخير سحورنا، وأن نضع إيماننا على شمائلنا في الصلاة». (٩٠)

وهذه السنّة مما بقي من هيئات الصلاة عند اليهود في صلاتهم زمن النبي عليه الصلاة والسلام وصحبه الكرام، إلا أنهم كانوا يضعون أيديهم عند خاصرتهم، فعن مسروق «عن عائشة رضي الله عنها كانت تكره أن يجعل المصلي يده في خاصرته وتقول: إن اليهود تفعله». (٩١)

ثانياً: التكبير عند الركوع والسجود والرفع منه وعند القيام:

وهذه التكبيرات مهمة خاصة عند تبليغ الإمام لمن هو خلفه في صلاة

http://kotob.has.it

الجماعة، خاصة في المسجد ووجود الرجال والنساء كما سيأتي إن شاء الله. ويمكن أن يكون بأي لفظة غير التكبير.

ثالثاً: الدعاء:

يتقرب الإنسان بالدعاء إلى ربه تعالى، ومن أفضل الدعاء ما يكون بعد قربى لله تعالى، خاصة إذا كان العبد في كربة، ويظهر ذلك في قصة جريج عندما صلى ودعا الله عز وجل أن يظهر الحقيقة ففي الحديث «فقام وصلى ودعا». وحديث الجماعة من بني إسرائيل حيث دعوا الله عز وجل لِيُخرج لهم رجلاً من القبر، ففي الحديث «لو صلينا ركعتين ودعونا الله عز وجل». وهذا الدعاء يحتمل أن يكون في السجود لأن العبد أقرب ما يكون من ربه تعالى أو قبل السلام أو بعده وكل ذلك من السنّة.

رابعاً: النظر إلى موضع السجود:

ويظهر ذلك في حديث يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام «وآمركم بالصلاة فإن الله ينصب وجهه قبل عبده ما لم يلتفت فلا تلتفتوا».

أما بقية السنن الأخرى فهي مثل ما يقال من ذكر في الركوع والسجود ورفع الأيدي عند التكبير، وغير ذلك، فإنه لا يتمنع وجوده عند الأمم السابقة، والله أعلم.

بعد كل هذا الاستعراض للآيات الكريمة والأحاديث الشريفة حول الصلاة فإنه يتبين مدى التشابه الكبير ما بين صلاتنا وصلاة السابقين في الكيفية وقد اكتفيت هنا بما ورد به نص صحيح صريح.

وأقول: أليس في سؤال موسى عليه الصلاة والسلام عن أعداد الصلاة وليس كيفيتها دليل على أن الكيفية متشابهة، فلو كانت الصلاة هي بالمعنى اللغوي (الدعاء) فأين المشقة بكونها خمسين صلاة ؟ بل ألا يدل على هذا إمامته صلى الله عليه وسلم في بيت المقدس بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وصلاة عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام إماماً ومأموماً عند نزوله في آخر الزمان كما أسلفنا، إنه ليس من المستبعد أن يكون لكل أمة من الأمم المسلمة السابقة

http://kotob.has.it

ذكر مميز يختصه الله عز وجل بها عن غيرها لكن هذا التمييز كما وجدنا من النصوص السابقة ربما يكون طفيفاً.

الصلاة في جماعة:

الصلاة في جماعة من الأمور المؤكدة في الشرع لما لها من أهداف تربوية وروحية كثيرة. ففيها: (إظهار لشعيرة من شعائر الإسلام بل أعظم شعائره وهي الصلاة وفيها إظهار عز المسلمين وترابطهم بدخول المساجد جميعاً، ومن فوائد صلاة الجماعة حصول الألفة بين المسلمين واجتماع القلوب على الخير وإزالة الحقد والغل وهدم الفوارق الاجتماعية والتعصب للجنس واللون. وهي وسيلة فعالة لغرس الخير ونشر العلم والفضيلة فيتعلم الجاهل من العالم). (٩٢)

أضف إلى ذلك مضاعفة الثواب ومحو الذنوب ورفع الدرجات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط». (٩٣)

وقد أوجب الله عز وجل على الأمم المسلمة السابقة الاجتماع في أماكن للعبادة ليعبدوا الله عز وجل. ويظهر الأمر بصلاة الجماعة في دعاء أبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿...رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ...﴾ [إبراهيم: ٣٧]، وكذلك عند الحديث عن إسماعيل عليه الصلاة والسلام ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ...﴾ [مريم: ٥٥]، وفي قوله عز وجل مخاطباً بني إسرائيل قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]. وقال تعالى مخاطباً مريم رضي الله عنها: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣]. وقد تقدم تفسير هذه الآيات الكريمة.

وفي السنة النبوية يظهر ذلك من خلال الحديث عن صلاة بني إسرائيل، الرجال والنساء، جميعاً في أماكن العبادة، إضافة إلى اتخاذ يوم يتجمع فيه

http://kotob.has.it

الناس للصلاة، أما بقية السنن الأخرى مثل ما يقال من ذكر في الركوع والسجود ورفع الأيدي عند التكبير وغير ذلك فإنه لا يمتنع وجوده عند الأمم السابقة والله أعلم. وقد جاء في الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله، فالناس لنا فيه تبع: فاليهود غداً، والنصارى بعد غد». (٩٤)

وقد كان اليهود يتخذون القرن أو الصور والنصارى كانوا يستخدمون الناقوس في عهد النبي صلى الله عليه وسلم (٩٥) ليجتمعوا إلى الصلاة وبقي الأمر إلى أيامنا هذه.

على أنني لا اثبت أن اجتماع الأمم المسلمة السابقة كان يوم السبت أو الأحد أو أن نداءهم كان بالقرن (البوق) أو الناقوس لأنه لم يرد نص بذلك، وعلى فرض اجتماع اليهود والنصارى يوم السبت والأحد، ففي أي يوم كان يجتمع غيرهم من الأمم؟ وبماذا كانوا ينادون للاجتماع.

ولعلّي استشهد بنداء يحيى وعيسى بني إسرائيل للاجتماع في بيت المقدس فلم يرد فيه ذكر القرن ولا الناقوس. وقد خاطب الله تعالى سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام فقال: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧]، ومعنى أذّن في الناس: أي ناد فيهم وأعلمهم (٩٦). فلعل هذا من التغير الذي أحدثه المغضوب عليهم والضالون من بني إسرائيل في رسالة أنبيائهم، عليهم من الله الصلاة والسلام.

جاء في شرح الإمام النووي: (٩٧) (قال القاضي: (٩٨) الظاهر أنه فرض عليهم تعظيم يوم الجمعة بغير تعيين، ووكل إلى اجتهادهم لإقامة شرائعهم فيه، فاختلف اجتهادهم في تعيينه ولم يهدهم الله له وفرضه على هذه الأمة مبيناً ولم يكله إلى اجتهادهم ففازوا بتفضيله، وقد جاء أن موسى عليه السلام أمرهم بالجمعة وأعلمهم بفضلها فناظروه أن السبت أفضل فقيل له دعهم. قال القاضي ولو كان منصوصاً لم يصح اختلافهم فيه بل كان يقول خالفوا فيه قلت، (٩٩) ويمكن أن يكون أمروا به صريحاً، ونص على عينه فاختلفوا فيه هل يلزم تعيينه أم لهم إبداله وأبدلوه وغلطوا في إبداله).

http://kotob.has.it

ويعقب الإمام ابن حجر على هذا الأمر فيقول: (ويشهد له ما رواه الطبري بإسناد صحيح عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ...﴾ [النحل: ١٢٤]، قال: أرادوا الجمعة فأخطؤا وأخذوا السبت مكانه. ويحتمل أن يراد بالاختلاف اختلاف اليهود والنصارى في ذلك. وقد روى ابن أبي حاتم من طريق أسباط بن نصر عن السدي، التصريح بأنهم فرض عليهم الجمعة بعينه فأبوا ولفظه: (إن الله فرض على اليهود الجمعة فأبوا وقالوا يا موسى إن الله لم يخلق يوم السبت شيئاً فاجعله لنا فجعل عليهم)، وليس ذلك بعجيب من مخالفتهم كما وقع لهم في قوله تعالى ﴿...وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ...﴾ [البقرة: ٥٨]، وغير ذلك، وكيف لا وهم القائلون﴿...سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا...﴾ [البقرة: ٩٣]). (١٠٠)

وقس على هذا الأمر قول النبي صلى الله عليه وسلم الذي روته عائشة رضي الله عنها، عنه صلى الله عليه وسلم: «ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتم على السلام والتأمين». (١٠١) وأيضاً قوله صلى الله عليه وسلم عندما ذكرت عنده اليهود فقال: «إنهم لا يحسدوننا على شيء كما حسدونا على الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الإمام آمين». (١٠٢)

القنوت:

القنوت: هو لزوم الطاعة مع الخضوع. (١٠٣)

قال تعالى واصفاً إبراهيم عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠].

قال ابن كثير: (وقوله ﴿...أُمَّةً...﴾ أي قدوة إماماً مهتدياً داعياً إلى الخير يقتدى به فيه، ﴿... قَانِتًا لِلّهِ...﴾ أي خاشعاً له في جميع حالاته وحركاته وسكناته ﴿... حَنِيفًا...﴾ أي مخلصاً على بصيرة). (١٠٤)

وهو كذلك وصفه عز وجل لمريم ابنة عمران رضي الله عنها ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢].

http://kotob.has.it

وكان هذا الوصف لها رضي الله عنها لأنها امتثلت لأمر الله سبحانه بلزوم العبادة والطاعة له سبحانه ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أي الصلاة أفضل؟ قال: طول القنوت». [١٠٥]

وقد ذهب النووي إلى أن المقصود بالقنوت هو القيام في هذا الحديث، فقد قال (المراد بالقنوت هنا القيام باتفاق العلماء فيما علمت. وفيه دليل للشافعي ومن يقول كقوله إن تطويل القيام أفضل من الركوع والسجود). [١٠٦]

قلت والقنوت كما ورد في كتاب الله تعالى أعم من ذلك قال تعالى: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ [الروم: ٢٦].

http://kotob.has.it

الهوامش

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر وإن انتقص من فريضة قال الرب انظروا هل لعبدي من تطوع ؟ فيكمل بها ما انتقص من الفريضة، ثم يكون سائر عمله على ذلك» أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد، وصححه الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته ج١: ٤٠٥ ح [٢٠٢٠].

(٢) حاشية ابن عابدين ج١: ٣٥١.

(٣) الصلاة، د. عبد الله الطيار صفحة ٨.

(٤) موسوعة فقه الطبري وحماد صفحة ١٧١، المفردات صفحة ٤٩٠-٤٩١، الموسوعة الفقهية ج٢٧: ١٥.

(٥) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير الدمشقي ج٣: ١٢٤-١٢٥.

(٦) أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ، د. جمال عبد الهادي، ود. وفاء محمد صفحة ١٠٤، الرسالة الثالثة.

(٧) أخرجه أبو داود والنسائي وأحمد، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ج١: ٢٤٣ ح [١١٦٠].

(٨) الكشاف للزمخشري ج٢: ٤٠٣. والطنز: السخرية، لسان العرب ج٩: ١٤٩.

(٩) أخرجه أحمد والحاكم والبزار والطبراني في الكبير، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ج٧: ٥٧ ح [٣٠٢٥]، القسم الأول، والأرناؤوط، المسند ج٣٣: ١٤٩-١٥٠ ح [١٩٩٢١].

(١٠) تفسير القرآن الحكيم، المعروف بتفسير المنار، محمد رشيد رضا ج٦: ٢٧٩-٢٨٠.

(١١) في ظلال القرآن، سيد قطب ج٥: ٤٦٧.

http://kotob.has.it

(١٢) روح المعاني، محمد الألوسي ج٣: ١٩٣-١٩٤.

(١٣) نظم الدرر في تناسق الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي ج٦: ١٩.

(١٤) في ظلال القرآن ج٧: ٥١٤-٥١٥.

(١٥) الكشاف ج٤: ٦٤٢.

(١٦) البخاري مع الفتح ج٤: ٤١٠-٤١١ ح [٢٢١٧]، ومسلم مع الشرح ج١٥: ١٢٣-١٢٥، واللفظ له، وما بين الحاصرتين مما ورد عند الإمام البخاري دون الإمام مسلم.

(١٧) قصص الأنبياء، إسماعيل بن كثير صفحة ١٧٦.

(١٨) البخاري مع الفتح ج٦: ٤٧٦ ح [٣٤٣٦]، ومسلم مع الشرح ج١٦: ١٠٦-١٠٧ ح [٨]، واللفظ له، وهنالك عدة روايات للحديث، وفي رواية «فتوضأ وصلى»، وفي رواية أخرى «فقام وصلى ودعا»، وفي رواية «فتولوا عنه فصلى ركعتين». إرجع إلى فتح الباري ج٦: ٤٨٢.

(١٩) مسلم مع الشرح ج١٦: ١٠٥.

(٢٠) قارن هذا مع قول عائشة رضي الله عنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الالتفات في الصلاة فقال: «هو اختلاس يختلس الشيطان من صلاة أحدكم»، البخاري مع الفتح ج٦: ٣٣٨ ح [٣٢٩١]، وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يزال الله مقبلاً على العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت فإذا التفت انصرف عنه»، أخرجه أبو داود والنسائي وأحمد وابن خزيمة في (صحيحه)، وحسنه الألباني، صحيح الترغيب والترهيب ج١: ٢٢٢ ح [٥٥٥]، وقال الأرناؤوط (صحيح لغيره)، المسند ج٣٥: ٤٠٠ ح [٢١٥٠٨].

(٢١) أخرجه الترمذي، وقال حديث (حسن صحيح)، وأحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع ج١: ٣٥٤-٣٥٥ ح [١٧٢٠]، والأرناؤوط، المسند ج٢٨: ٤٠٤-٤٠٦ ح [١٧١٧٠]، والعلي صفحة ١٩١-١٩٢.

(٢٢) البخاري مع الفتح ج٦: ٢٢٠ ح [٣١٢٤]، مسلم ج١٢: ٥١-٥٢ ح [٣٢]، وقد اختلف شراح الحديث في اسم هذا النبي، والراجح إنه يوشع بن نون عليه السلام، كما ورد في روايات أخرى، السلسلة الصحيحة ج١: ٣٩٣-٣٩٤ ح [٢٠٢].

(٢٣) مسلم مع الشرح ج٦: ١١٣ ح [٦٩٢]. والمخمص: اسم موضع (طريق في جبل عير إلى مكة)، معجم البلدان، ياقوت الحموي ج٥: ٨٧.

(٢٤) قصص الأنبياء صفحة ٥٩٧.

http://kotob.has.it

(٢٥) البخاري مع الفتح ج٦: ٤٥٥ ح [٣٤٢٠]، ومسلم مع الشرح ج٨: ٤٠-٤١ ح [١٩٠]، وفي رواية «أفضل الصلاة صلاة داود».

(٢٦) أي المسجد الأقصى.

(٢٧) أخرجه النسائي وابن ماجه وأحمد، وصححه ابن حجر في الفتح ج٦: ٤٠٨، والألباني، صحيح ابن ماجه ج١: ٢٣٧ ح [١١٥٦]، والأرناؤوط، المسند ج١١: ٢٢٠ ح [٦٦٤٤]، والعلي صفحة ١٨٦ح [٢٥٨].

(٢٨) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ج١٠: ٢١٦-٢١٧ ح [١٠٣٧٠]، والأوسط ج٧: ٣١١-٣١٢ ح [٦٥٩٥]، والبزار في كشف الأستار ح [٣٦٨٩]، وصححه الألباني السلسلة الصحيحة ج٦: ٨٠٤-٨٠٥ ح [٢٨٣٣]، القسم الثاني، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج١٠: ٢٦٨ ح [١٧٦٤٢]، (رواه الطبراني في الأوسط والكبير والبزار، وإسناده حسن). وعند الطبراني في رواية «حتى إذا حضرت الصلاة تطهر فصلى».

(٢٩) أخرجه أبو داود والبزار والحاكم، وصححه الألباني، صحيح سنن أبي داود ج١: ١٧٦ح [٦٥٢].

(٣٠) أخرجه أحمد في كتاب الزهد صفحة ٥٦، والبزار في مسنده، وصححه الألباني، السلسلة الصحيحة ج٦: ١٠٢٨-١٠٢٩ ح [٢٩٢٦]، القسم الثاني. وخلاسي: أي أسمر اللون، يقال ولد خلاسي، ولد بين أبوين أبيض وأسود، لسان العرب ج٥: ١٢٥.

(٣١) أخرجه ابن نصر في الصلاة، وأحمد، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ج٣: ٥٠ ح ١٠٦١. والأرناؤوط، المسند ج٣١: ٢٦٧-٢٦٨ ح [١٨٩٣٧]، وفيه عند أحمد «فقام إلى الصلاة، وكانوا إذا فزعوا فزعوا إلى الصلاة، فصلى ما شاء الله».

(٣٢) مسلم مع الشرح ج٢: ٢٣٨.

(٣٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي ج١: ٥٢٤.

(٣٤) البخاري مع الفتح ج١٣: ٤٨٧ ح [٧٥١٧]، ومسلم مع الشرح ج٢: ٢١٤.

(٣٥) مسلم مع الشرح ج١٥: ١٣٣، وأنظر تعليق العلماء، فتح الباري ج٦: ٤٨٧-٤٨٨، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون»، أخرجه البزار في كشف الأستار ح [٢٣٣٩]، وأبو يعلى ح [٣٤٢٥]، وذهب الألباني إلى القول (سنده جيد)، أحكام الجنائز صفحة ٢٧٢، وصححه العلي صفحة ٢٤٨ح [٣٥١].

(٣٦) البخاري مع الفتح ج٦: ٤٩١ ح [٣٤٤٩]، ومسلم مع الشرح ج٢: ١٩.

(٣٧) فتح الباري ج٦: ٤٩٣-٤٩٤.

http://kotob.has.it

(٣٨) مسلم مع الشرح ج٢: ١٩٣.

(٣٩) البخاري مع الفتح ج٦: ٤٧٨ ح [٣٤٤٣]، ومسلم مع الشرح ج١٥: ١١٩، ودينهم الواحد إنما هو الإسلام كما تقدم.

(٤٠) أخرجه الترمذي والحاكم، وعنه البيهقي، وحسنه الألباني إرواء الغليل ج٢: ١٩٩- ٢٠٠.

(٤١) أخرجه أحمد وعبد الرزاق في مصنفه، وابن خزيمة، وحسنه الألباني، صحيح الجامع الصغير ج١: ٤٢٦ ح [٢١٢٣]، والأرناؤوط، المسند ج٣٧: ٥٣٩ ح [٢٢٩٠٥].

(٤٢) أخرجه أبو داود وأحمد، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ج١: ٨٥ ح [٤٠٦]، والأرناؤوط، المسند ج٣٦: ٣٨٥-٣٨٦ ح [٢٢٠٦٦].

(٤٣) البخاري مع الفتح ج٢: ٤٧ ح [٥٦٧]، ومسلم مع الشرح ج٥: ١٣٩.

(٤٤) فتح الباري لابن رجب الحنبلي ج٤: ٣٧٥.

(٤٥) مسلم مع الشرح ج١٦: ٣٢، والحديث عند البخاري مع الفتح ج٦: ٥٤٩-٥٥٠ ح [٣٥٢٢]، وليس فيه ذكر الصلاة. (فنثا علينا الذي قيل له): أي أشاعه وأفشاه، و(فقربنا صرمتنا)، الصرمة: هي القطعة من الإبل وتطلق على القطعة من الغنم، و(فنافر): تراهن، مسلم مع الشرح ج١٦: ٢٧.

(٤٦) مسلم مع الشرح ج١٦: ٣٢.

(٤٧) البخاري مع الفتح ج٢: ٢٩٢ ح [٨٠٦]، ومسلم مع الشرح ج٣: ٢٥-٣٠.

(٤٨) البخاري مع الفتح ج٤: ١١١ح [١٨٩٧]، ومسلم مع الشرح ج٧: ١١٥-١١٦ح [٨٥].

(٤٩) أخرجه الدارمي، وحسنه الألباني فقال: (وسنده إلى الحسن صحيح وهو مرسل ويقويه أن له شاهداً موصولاً)، مشكاة المصابيح ج١: ٨٣ ح [٢٥٠]، والشاهد ما أخرجه الترمذي والطبراني في الكبير، عن أبي أمامة الباهلي قال: ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان أحدهما عابد والآخر عالم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، ثم قال إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير»، صحيح سنن الترمذي ج٢: ٤٣٢ ح [٣٤٣].

(٥٠) البخاري مع الفتح ج٢: ٣١١ ح [٨٣١]، ومسلم مع الشرح ج٤: ١١٥-١١٧ ح [٥٥].

(٥١) فتح الباري ج٢: ٣١٧.

(٥٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ج١: ٤٧٨، الكتاب الثاني.

(٥٣) أنظر صفحة ٦١.

http://kotob.has.it

(٥٤) هناك اختلافات في التقسيم بين الفقهاء في الشروط والأركان والواجبات، وموضوع هذا الكتاب لا يبحث في هذا الخلاف لذلك حاولت الاجتهاد إلى الصواب في نظري، والله الموفق.

(٥٥) الوجيز في أصول الفقه، د. عبد الكريم زيدان صفحة ٥٩.

(٥٦) أخرجه أبو داود والنسائي، وصححه الألباني، إرواء الغليل ج٢: ٤ ح [٢٩٧].

(٥٧) أنظر صفحة ٣٤-٣٥.

(٥٨) المفردات صفحة ٨٧٩.

(٥٩) أخرجه أبو داود والترمذي وقال (هذا حديث حسن)، وأحمد، قال ابن حجر في التلخيص ج١: ١٧٣، (صححه أبو بكر بن العربي وابن عبد البر)، وحسنه الألباني، صحيح سنن أبي داود ج١: ٧٩ ح [٣٧٧]، والأرناؤوط، المسند ج٥: ٢٠٢ ح [٣٠٨١].

(٦٠) تحفة الأحوذي، لأبي يعلى محمد بن عبد الرحمن المباركفوري ج١: ٤٦٧.

(٦١) سبق تخريجه صفحة ٦٨.

(٦٢) التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن جزي الكلبي ج٣: ٣٩.

(٦٣) أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ صفحة ٨٦-٨٧، الرسالة الأولى.

(٦٤) قال ابن تيمية في الفتاوى ج٢٢: ١١٥ (وابن مسعود رضي الله عنه لما قال الزينة الظاهرة، هي الثياب، لم يقل إنها كلها عورة حتى ظفرها بل هذا قول أحمد، يعني إنها تشترط في الصلاة، فإن الفقهاء يسمون ذلك باب ستر العورة، وليس هذا من الفاظ الرسول، ولا في الكتاب والسنة إن ما يستر المصلي فهو عورة، بل قال تعالى ﴿...خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ...﴾ [الأعراف: ٣١]، ونهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يطوف بالبيت عرياناً فالصلاة أولى).

(٦٥) في ظلال القرآن ج٥: ٥٠١-٥٠٢.

(٦٦) سبق تخريجه صفحة ٦٦.

(٦٧) سبق تخريجه صفحة ٦٤.

(٦٨) فتح الباري ج٦: ٤٨١.

(٦٩) الأدب المفرد للبخاري، وصححه الألباني صفحة ٢٤-٢٥ ح [٣٣].

(٧٠) الكشاف ج١: ١٣٧.

(٧١) الفقه الإسلامي وأدلته ج١: ٦١١.

(٧٢) سبق تخريجه صفحة ٦٥.

http://kotob.has.it

(٧٣) سبق تخريجه صفحة ٦٩.

(٧٤) سبق تخريجه صفحة ٦٨.

(٧٥) سبق تخريجه صفحة ٦٤.

(٧٦) سبق تخريجه صفحة ٦٥.

(٧٧) الصلاة وحكم تاركها، لابن القيم الجوزية صفحة ١٢٣.

(٧٨) المرجع السابق صفحة ١٢٤.

(٧٩) أخرجه أحمد والطيالسي، وصححه الألباني، السلسلة الصحيحة ج٣: ٤٦٩ ح [١٤٨٠]. وحسنه الأرناؤوط، المسند ج٢٨: ١٨٨ ح [١٦٩٨٢]. والسبع الطوال: السور من البقرة إلى آخر الأعراف، ثم براءة. والمئون: فهي ما كان من سور القرآن عدد آيه مئة آية، أو تزيد عليها شيئاً أو تنقص منها شيئاً يسيراً. وأما المثاني: فإنها ما ثنى المئين فتلاها، وكان المئون لها أوائل، وكان المثاني لها ثواني وقيل: لتثنية الله سبحانه فيها الأمثال والخبر والعبر. أما المفصل فسميت بذلك لكثرة الفصول التي بين سورها ببسم الله الرحمن الرحيم. تفسير الطبري ج١: ٤٥-٤٦ بتصرف.

(٨٠) الصلاة وحكم تاركها صفحة ٨٢.

(٨١) تفسير الطبري ج٣: ١٨٠-١٨٢.

(٨٢) التفسير الكبير، الفخر الرازي ج٣: ٢١٨.

(٨٣) البخاري مع الفتح ج٢: ٢٩٢-٢٩٣ ح [٨٠٦]، ومسلم مع الشرح ج٣: ١٧-٢٤.

(٨٤) شرح مسلم للنووي ج٣: ٢٢، وانظر صفحة ٣٠، فيها شرح الآيات التي تحدثت عن صفات الرسول عليه الصلاة والسلام ومن معه رضوان الله عليهم في التوراة والإنجيل.

(٨٥) الفتاوى ج٢٢: ٢٣٢.

(٨٦) البخاري مع الفتح ج٢: ٢٧٤-٢٧٥ ح [٧٩١].

(٨٧) البخاري مع الفتح ج٢: ٢٧٦-٢٧٧ ح [٧٩٣]، ومسلم مع الشرح ج٤: ١٠٦-١٠٧ ح [٤٥].

(٨٨) الفتاوى ج٢٢: ٥٥٨.

(٨٩) الوجيز في أصول الفقه صفحة ١٦١.

(٩٠) أخرجه ابن حبان في (صحيحه)، والطبراني في المعجم الكبير، والأوسط، وصححه المقدسي في المختارة والألباني، في أحكام الجنائز صفحة ١٤٩، والأرناؤوط، الإحسان ج٥: ٦٧-٦٨ ح [١٧٧٠]، والعلي صفحة ٢٤٦ ح [٣٤٨]، وفي رواية «ثلاث من سنن المرسلين».

http://kotob.has.it

(٩١) البخاري مع الفتح ج٦: ٤٩٥ ح [٣٤٥٨].

(٩٢) الصلاة للطيار صفحة ٣٦٦.

(٩٣) مسلم مع الشرح ج٣: ١٤١.

(٩٤) البخاري مع الفتح ج٢: ٣٥٤ ح [٨٧٦]، ومسلم مع الشرح ج٦: ١٤٣-١٤٤.

(٩٥) البخاري مع الفتح ج٢: ٧٧ ح [٦٠٤]، ومسلم مع الشرح ج٤: ٧٥.

(٩٦) عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة»، مسلم مع الشرح ج٤: ٨٩. ولا يوجد في الحديث ما يدل على إن هذا الفضل خاص بأمة محمد صلى الله عليه وسلم، والله أعلم.

(٩٧) شرح مسلم ج٦: ١٤٣-١٤٤.

(٩٨) هو عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، المعروف بالقاضي عياض.

(٩٩) أي الإمام النووي رحمه الله.

(١٠٠) فتح الباري ج٢: ٣٥٥.

(١٠١) أخرجه أحمد والبيهقي، وابن ماجة، وصححه الألباني، السلسلة الصحيحة ج١: ٣١٢، والأرناؤوط في المسند ج٤١: ٤٨٢.

(١٠٢) أخرجه ابن ماجة وابن خزيمة في (صحيحه)، وأحمد، واللفظ له، صحيح الترغيب والترهيب ج١: ٢٠٦ ح [٥١٥]، وصححه الأرناؤوط في المسند ج٤١: ٤٨١ ح [٢٥٠٢٩].

ومما ورد في فضل التأمين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا قال أحدكم آمين، وقالت الملائكة آمين في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه». البخاري مع الفتح ج٢: ٢٦٦ ح [٧٨١]، ومسلم مع الشرح ج٤: ١٢٩.

(١٠٣) المفردات صفحة ٦٨٤.

(١٠٤) قصص الأنبياء صفحة ٢١٠.

(١٠٥) مسلم مع الشرح ج٦: ٣٥.

(١٠٦) المرجع السابق.

http://kotob.has.it

أحكام الجنائز

قال تعالى: ﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧]

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

أحكام الجنائز

قضى الله سبحانه وتعالى أن تكون هذه الحياة الدنيا دار اختبار وامتحان لعبور الحياة الآخرة الأبدية. وقضى عز وجل لآدم وذريته أن الأرض فيها الحياة والموت، ومنها البعث ليوم الحساب الذي هو ركن من أركان الإيمان. قال سبحانه: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: ٢٥].

وقد ذكر سبحانه الموت كثيراً في كتابه الكريم ليذكّر الإنسان أن له أجلاً محدوداً، وأنه سوف يلاقي ربه سبحانه في يوم لا ريب فيه. قال سبحانه: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

وليس هناك مخلد على الأرض وإن طال به العمر ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧].

ويذكر الموت في كتاب الله تعالى أيضاً للدلالة على البعث، وقدرة الله سبحانه على إعادة المخلوقات بعد الممات لتكون آيات للمؤمنين ورداً على من أنكر البعث بعد الموت.

ومثال قدرة الله تعالى على البعث بعد الموت إعادة خلق الطير أمام نبي الله إبراهيم عليه السلام، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وكذلك في قصة بقرة بني إسرائيل عندما أمرهم الله تعالى أن يذبحوا بقرة

http://kotob.has.it

ليتبين القاتل، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٢-٧٣].

المبادرة إلى التوبة:

على الإنسان أن يبادر إلى التوبة لله تعالى، فبابه مفتوح في الليل والنهار. وعلى العبد أن يسرع ولا ينتظر إلى وقت لا تنفع معه توبة، كما حصل لفرعون لعنه الله عندما زعم التوبة لما عاين الموت، قال سبحانه حاكياً عنه لحظة غرقه ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠].

ولو كانت هذه التوبة صادقة لقبلت، فالله سبحانه يقبل التوبة من عباده، ولكنها كانت توبة من عاين الموت ﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [يونس: ٩١-٩٢].

الرقية للمريض:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما ويقول: «إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق: أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة». (١)

الصبر على الآلام والأمراض:

كل ما يحدث للإنسان في الدنيا هو اختبار وامتحان من الله تعالى، ليرى صبر العبد ورضاه بقضائه. وهو أيضاً تكفير للذنوب والخطايا التي وقعت من العبد في حياته، فيُبتلى بالمرض ليلقى الله سبحانه فلا يحاسبه عليها في الآخرة.

وقد مدح الله عز وجل أيوب عليه الصلاة والسلام لصبره فقال سبحانه:

http://kotob.has.it

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣-٨٤].

على أن البعض قد يجزع لهذا الأمر لضعف إيمانه، فيقدم على قتل نفسه ظناً منه أن ذلك سوف يخفف من آلامه وهو لا يعلم أنه قد أوقع نفسه في حرج لا يعلم عاقبته إلا الله تعالى، فعن جندب البجلي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن رجلاً ممن كان قبلكم خرجت به قرحة، فلما آذته، انتزع سهماً من كنانته فنكأها فلم يرقأ الدم حتى مات فقال ربكم: قد حرمت عليه الجنة». (٢)

وقد يكون قتل النفس مباحاً ليكون دليلاً على التوبة من معصية كبيرة، وهذا على الأرجح كان خاصاً ببني إسرائيل وحدهم عندما عبدوا العجل قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤].

على أن بعض المفسرين حمل القتل على معنى آخر، وهو أن يقتل من لم يعبد العجل من عبده، فليقتل البريء منهم المجرم. (٣)

جواز تمني الموت خوفاً من الفتنة:

على الإنسان أن يصبر على الأحداث والشدائد التي تمر به في حياته، ولكن إذا خاف على نفسه أن يفتن في دينه أو أن يلحق به إيذاء شديد لا يصبر عليه، فيجوز عند ذلك أن يطلب من الله عز وجل أن يتوفاه قبل أن يفتن. قال سبحانه حاكياً عن مريم بعد حملها بعيسى عليه الصلاة والسلام ﴿فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٣].

قال ابن كثير (فيه دليل على جواز تمني الموت عند الفتنة فإنها عرفت أنها ستبتلى وتمتحن بهذا المولود الذي لا يحمل الناس أمرها فيه على السداد ولا يصدقونها في خبرها، وبعدما كانت عابدة ناسكة تصبح عندهم - فيما يظنون - عاهرة زانية). (٤)

http://kotob.has.it

وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على عدم تمني الموت، وأخبرنا بما علينا أن نقول إذا نزل بالمسلم البلاء، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يتمنين أحدكم الموت لِضُر نزل به، فإن كان لا بد متمنياً فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي». (٥)

قال النووي (فيه التصريح بكراهة تمني الموت لضُر نزل به من مرض أو فاقة أو محنة من عدو أو نحو ذلك من مشاق الدنيا، فأما إذا خاف ضرراً في دينه أو فتنة فيه، فلا كراهة فيه؛ لمفهوم هذا الحديث وغيره، وقد فعل هذا الثاني خلائق من السلف عند خوف الفتنة في أديانهم. وفيه أنه إن خاف ولم يصبر على حاله في بلواه بالمرض ونحوه فليقل: «اللهم أحيني إن كانت الحياة خيراً . . . إلخ»، والأفضل الصبر والسكون للقضاء). (٦)

الوصية من الميت:

لعل من أعظم اللحظات وأشدها على الإنسان وهو في حالة الاحتضار. والكلمات التي تخرج من فيه نابعة من قلب صادق قد عاين الحق وذهب عنه غرور الدنيا وزخرفها. وقد ذُكر لنا في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم عدد من الوصايا، ومن أبرزها وصية إبراهيم ويعقوب عليهما الصلاة والسلام لأبنائهما وأحفادهما قال تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَـهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢-١٣٣].

قال صاحب الظلال (إن هذا المشهد بين يعقوب وبنيه في لحظة الموت والاحتضار لمشهد عظيم الدلالة، قوي الإيحاء، عميق التأثير... ميت يحتضر. فما هي القضية التي تشغل باله في ساعة الاحتضار؟ ما هو الشاغل الذي يعني خاطره وهو في سكرات الموت؟ ما هو الأمر الجلل الذي يريد أن يطمئن عليه ويستوثق منه، ما هي التركة التي يريد أن يخلفها لأبنائه ويحرص على

http://kotob.has.it

سلامة وصولها إليهم فيسلمها لهم في محضر؟ يسجل فيه كل التفصيلات؟ إنها العقيدة.. هي التركة. وهي الذخر. وهي القضية الكبرى، وهي الشغل الشاغل، وهي الأمر الجلل، الذي لا تشغل عنه سكرات الموت). (٧)

وصية نوح عليه السلام لابنه:

«عن عبد الله بن عمرو أن نبي الله نوحاً عليه السلام لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاص عليك الوصية، آمرك باثنتين وأنهاك عن اثنتين: آمرك بلا إله إلا الله، فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة أصبحت بهن لا إله إلا الله، ولو أن السماوات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة قصمتهن لا إله إلا الله وبسبحان الله وبحمده فإن بها صلاة كل شيء وبها يرزق الخلق وأنهاك عن الشرك والكبر..». (٨)

وقد تكون هناك بعض الوصايا الغريبة لسبب من الأسباب:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أسرف رجل على نفسه فلما حضره الموت أوصى بنيه فقال إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم اذروني في الريح في البحر فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذاباً ما عذبه به أحدا، قال ففعلوا ذلك به فقال للأرض أدي ما أخذت فإذا هو قائم، فقال له ما حملك على ما صنعت فقال خشيتك يا رب أو قال مخافتك فغفر له بذلك». (٩)

عظم سكرات الموت:

قال تعالى: ﴿وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩].

وسكرات الموت هي اللحظات التي تكون عند خروج الروح ومعاينة الموت، وهي لحظات عظيمة كان النبي عليه السلام يعاني من شدتها عند وفاته صلى الله عليه وسلم ويقول «لا إله إلا الله إن للموت سكرات». (١٠)

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خرجت طائفة من بني إسرائيل حتى أتوا مقبرة لهم من مقابرهم. فقالوا: لو صلينا ركعتين ودعونا الله عز وجل أن يخرج لنا رجلاً ممن قد مات نسأله عن الموت. قال ففعلوا. فبينما هم كذلك إذ أطلع رجل رأسه من قبر من

http://kotob.has.it

تلك المقابر خلاسي بين عينيه أثر السجود فقال: يا هؤلاء ما أردتم لي؟ فقد مت منذ مائة سنة فما سكنت عني حرارة الموت حتى كان الآن فادعوا الله عز وجل أن يعيدني كما كنت». (١١)

رؤية ملك الموت:

لقد امتازت الأمم السابقة برؤية ملك الموت عياناً عند لحظات النزع عند قبض الأرواح، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كان ملك الموت يأتي الناس عياناً، قال فأتى موسى فلطمه ففقأ عينه، فأتى ربه عز وجل فقال يا رب عبدك موسى فقأ عيني ولولا كرامته عليك لعنفت به، وقال يونس لشققت عليه، فقال له اذهب إلى عبدي فقل له فليضع يده على جلد أو مسك ثور فله بكل شعرة وارت يده سنة، فأتاه فقال له ما بعد هذا، قال الموت، قال فالآن قال، فشمه شمة فقبض روحه، قال يونس فرد الله عز وجل عينه وكان يأتي الناس خفية». (١٢)

حقوق الميت:

لقد جاءت شريعة الله تعالى لتكرم الإنسان حياً وميتاً، فكما إن للحي حقوقاً فلمن فارق الحياة كذلك، وعلى الأحياء القيام بها، وإلا وقعوا في الإثم، وهذه الحقوق كثيرة وقد ذكر لنا منها عند السابقين.

تغسيل الميت:

عن أُبي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لما توفي آدم غسلته الملائكة بالماء وتراً وألحدوا له وقالوا هذه سنة آدم في ولده». (١٣)

وفي قصة وفاة نبي الله داود عليه السلام فعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً وفيه: «فلما غسل وكفن وفرغ من شأنه طلعت عليه الشمس» (١٤).

تكفين الميت:

وقد ثبت هذا في حديث أُبي بن كعب رضي الله عنه، في تكفين أبي البشر آدم عليه السلام، وكذلك في تكفين نبي الله سليمان عليه السلام.

http://kotob.has.it

وحث النبي صلى الله عليه وسلم على الإحسان في كفن الميت، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعاً «إذا كفن أحدكم أخاه فليحسن كفنه». (١٥)

الصلاة على الميت:

وهي من أبرز حقوق الميت، ففي الصلاة عليه رحمة له، فلعل الله عز وجل يغفر له، وكرامة له في مماته بعد الحياة على الأرض، فعن عتي بن ضمرة السعدي قال رأيت شيخاً بالمدينة يتكلم فسألت عنه فقالوا هذا أُبي بن كعب فقال: «إن آدم عليه السلام لما حضره الموت، قال لبنيه أي بني إني أشتهي من ثمار الجنة فذهبوا يطلبون له، فاستقبلتهم الملائكة ومعهم أكفانه وحنوطه ومعهم الفؤوس والمساحي والمكاتل، فقالوا لهم يا بني آدم ما تريدون وما تطلبون أو ما تريدون وأين تذهبون، قالوا أبونا مريض فاشتهى من ثمار الجنة، قالوا لهم ارجعوا فقد قضي قضاء أبيكم فجاءوا، فلما رأتهم حواء عرفتهم فلاذت بآدم، فقال إليك إليك عني فإني إنما أوتيت من قبلك خلي بيني وبين ملائكة ربي تبارك وتعالى فقبضوه، وغسلوه وكفنوه وحنطوه وحفروا له وألحدوا له وصلوا عليه، ثم دخلوا قبره فوضعوه في قبره ووضعوا عليه اللبن، ثم خرجوا من القبر، ثم حثوا عليه التراب، ثم قالوا يا بني آدم هذه سنتكم». (١٦)

الصلاة على عيسى عليه الصلاة والسلام:

وهذا في آخر الزمان بعد نزوله صلى الله عليه وسلم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليس بيني وبين عيسى نبي، وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض ينزل بين ممصرتين كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويهلك المسيح الدجال، فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون». (١٧)

http://kotob.has.it

الدفن:

قال تعالى مخاطباً آدم عليه السلام وذريته ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥].

وأول من دفن على وجه الأرض هو ابن آدم (هابيل) بعد مقتله من قبل أخيه (قابيل). قال تعالى حاكياً خبرهما ﴿فَبَعَثَ اللّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١].

وقد تواترت الأحاديث النبوية في هذا الأمر. وسبق ذكر دفن آدم عليه السلام ففي الحديث «لما توفي آدم غسلته الملائكة بالماء وتراً وألحدوا له وقالوا هذه سنة آدم في ولده». (١٨)

واللحد: هو الشق في عرض القبر من جهة القبلة.

النهي عن اتخاذ القبور مساجد:

وسبب النهي هو الميل عن التوحيد لله وحده سبحانه، وعن الفطرة السليمة التي فطر الله الخلق عليها.

عن عائشة أم المؤمنين أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: «إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة». (١٩)

نعيم القبر وعذابه:

القبر ليس حفرة يلقى فيها الإنسان، وإنما هو مرحلة ليوم لا ريب فيه، ففيه نعيم للمؤمنين على ما قدموا في حياتهم الدنيا، وخزي وحسرة لمن خرج عن منهج الله العزيز الحكيم، قال سبحانه عما يلاقيه آل فرعون في قبورهم ﴿...وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥-٤٦].

«وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل علي رسول صلى الله عليه وسلم

http://kotob.has.it

وعندي امرأة من اليهود وهي تقول: هل شعرت أنكم تفتنون في القبور؟ قالت: فارتاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: إنما تفتن يهود. قالت عائشة: فلبثنا ليالي ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل شعرت أنه أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور قالت عائشة: فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد يستعيذ من عذاب القبر». (٢٠)

الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء:

عن أوس بن أوس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي، قال: قالوا يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت - يقولون بليت - فقال: إن الله عز وجل حرم على الأرض أجساد الأنبياء». (٢١)

ويلتحق الشهداء بهذه الفضيلة. قال القرطبي (وهكذا حكم من تقدمنا من الأمم ممن قتل شهيداً في سبيل الله، أو قتل على الحق كأنبيائهم). (٢٢)

ففي قصة أصحاب الأخدود والملك والساحر والغلام «فقال الغلام للملك إنك لا تقتلني حتى تصلبني وترميني وتقول إذا رميتني بسم الله رب هذا الغلام، قال فأمر به فصلب ثم رماه، فقال بسم الله رب هذا الغلام، قال فوضع الغلام يده على صدغه حين رمي ثم مات، فقال الناس لقد علم هذا الغلام علماً ما علمه أحد، فإنا نؤمن برب هذا الغلام، قال فقيل للملك أجزعت أن خالفك ثلاثة فهذا العالم كلهم قد خالفوك، قال فخد أخدوداً، ثم ألقى فيها الحطب والنار، ثم جمع الناس، فقال من رجع عن دينه تركناه ومن لم يرجع ألقيناه في هذه النار فجعل يلقيهم في تلك الأخدود قال: يقول الله تعالى ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ... الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٤-٨]. قال فأما الغلام فإنه دفن، فيذكر أنه أخرج في زمن عمر بن الخطاب وإصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل». (٢٣)

http://kotob.has.it

تخيير الأنبياء قبل وفاتهم:

عن عائشة قالت «كنت أسمع أنه لا يموت نبي حتى يخير بين الدنيا والآخرة فسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه وأخذته بحة يقول ﴿...مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم...﴾ [النساء: ٦٩]، فظننت أنه خير». (٢٤)

وفي رواية «إنه لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير». (٢٥)

دفن الأنبياء حيث وفاتهم:

عن أُبي أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لم يدروا أين يقبرون النبي صلى الله عليه وسلم حتى قال أبو بكر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «لن يقبر نبي إلا حيث يموت فأخروا فراشه وحفروا له تحت فراشه». (٢٦)

http://kotob.has.it

الهوامش

(١) البخاري مع الفتح ج٦: ٤٠٨ ح [٣٣٧١].

(٢) البخاري مع الفتح ج٦: ٤٩٦ ح [٣٤٦٣]، ومسلم مع الشرح ج٢: ١٢٤.

(٣) الظلال ج١: ٨٩، صفوة التفاسير ج١: ٥٨.

(٤) تفسير ابن كثير ج٣: ١١٤.

(٥) البخاري مع الفتح ج١٠: ١٢٧ ح [٥٦٧١]، ومسلم مع الشرح ج١٧: ٧.

(٦) شرح مسلم ج١٧: ٧-٨.

(٧) الظلال ج١: ١٥٩.

(٨) أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد، والبيهقي في الأسماء والصفات، وصححه ابن كثير في قصص الأنبياء صفحة ١١١، وقال (هذا إسناد صحيح ولم يخرجوه)، والألباني، السلسلة الصحيحة ج١: ٢٥٩ ح [١٣٤]، وصححه الأرناؤوط، المسند ج١١: ١٥٠-١٥١ ح [٦٥٨٣]، والعلي صفحة ٤٠ ح [٥٢٦].

(٩) البخاري مع الفتح ج٦: ٥١٤ ح [٣٤٧٨]، ومسلم مع الشرح ج١٧: ٧٢.

(١٠) البخاري مع الفتح ج٨: ١٤٤ ح [٤٤٤٩].

(١١) سبق تخريجه، صفحة ٦٩.

(١٢) أخرجه أحمد، وصححه الألباني، مختصر العلو صفحة ٨٥-٨٦ ح [١٠]، وأصل الحديث عند البخاري مع الفتح ج٦: ٤٤٠-٤٤١ ح [٣٤٠٧]، ومسلم مع الشرح ج١٥: ١٢٧-١٢٨.

(١٣) أخرجه الحاكم وصححه، والطيالسي، وصححه الألباني، صحيح الجامع ج٢: ٩٢٤ ح [٥٢٠٧]، والعلي صفحة ٣٢ ح [٣٧].

(١٤) أخرجه أحمد، وصححه العلي صفحة ١٨٥ ح [٢٥٦]، وذهب الأرناؤوط إلى تضعيفه، المسند ج١٥: ٢٥٤ ح [٩٤٣٢]، وسبب الخلاف مداره حول إثبات سماع المطلب

http://kotob.has.it

بن عبد الله بن حنطب عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(١٥) مسلم مع الشرح ج٧: ١٢.

(١٦) أخرجه أحمد في المسند، وعنه خرّجه ابن عساكر في تاريخه، والضياء المقدسي في المختارة، وقد اختلف فيه من حيث الرفع والوقف، ومن حيث الصحة والضعف، وسبب الخلاف أن مدار الإسناد على عتي وهو ابن ضمرة السعدي، فقد وثقه ابن سعد وابن حبان والعجلي وابن حجر في التقريب وجهله علي بن المديني، ولذا ضعفه الأرناؤوط، المسند ج٣٥: ١٦٣ح [٢١٢٤٠]، وذهب الألباني (وجملة القول أن الحديث عن أبي صحيح موقوفاً ومرفوعاً)، السلسلة الضعيفة ج٦: ٤٠٤-٤٠٦، وقال ابن كثير في القصص صفحة ٦٩ (إسناده صحيح إليه) أي إلى أُبي بن كعب رضي الله عنه، وصححه العلي صفحة٣١ ح [٣٦].

(١٧) أخرجه أبو داود، وصححه الألباني، صحيح الجامع ج٢: ٩٥٠ ح [٥٣٨٩].

(١٨) سبق تخريجه، صفحة ١٠٤.

(١٩) البخاري مع الفتح ج١: ٦٨٨ ح [٤٣٤]، ومسلم مع الشرح ج٥: ١١، واللفظ له.

(٢٠) البخاري مع الفتح ج٢: ٥٤٤ ح [١٠٥٥]، ومسلم مع الشرح ج٥: ٨٥، واللفظ له.

(٢١) أخرجه أبو داود، وصححه الألباني، صحيح سنن أبي داود ج١: ٢٧٥ [١٠٧٤]. وقد مر بأن الأنبياء أحياء يصلون في قبورهم.

(٢٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة صفحة ١٧١.

(٢٣) أخرجه الترمذي، وقال حسن غريب، وصححه الألباني، صحيح سنن الترمذي ج٣: ١٢٩-١٣٠ح [٢٦٦١]، وأصل الحديث عند مسلم مع الشرح ج١٨: ١٣٠-١٣٣.

(٢٤) البخاري مع الفتح ج٨: ١٣٦ ح [٤٤٣٥]، ومسلم مع الشرح ج١٥: ٢٠٨-٢٠٩.

(٢٥) المرجع السابق، والحديث عند البخاري مع الفتح ح [٤٤٣٧].

(٢٦) أخرجه أحمد، وصححه الألباني، صحيح الجامع ج٢: ٩٢٣ ح [٥٢٠١].

http://kotob.has.it

القبلة

قال تعالى: ﴿ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شيء قدير﴾ [البقرة: ١٤٢-١٤٨].

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

القبلة

القِبلة لغة: الجهة وكل ما يستقبل من الشيء.

وهي في الشرع اسم للمكان المقابل المتوجه إليه للصلاة [١] ويراد بها البيت الحرام (الكعبة).

من خلال النصوص السابقة يتبين أن الأمم المسلمة السابقة كانوا مأمورين بالصلاة والحج وكانوا مأمورين أن يتوجهوا إلى القبلة في صلاتهم. وقد أخذ الحديث عن القبلة في القرآن الكريم عدداً من الآيات الكريمة – وهي ليست بالقليلة – وذلك بسبب حدوث نزاع بين اليهود والمسلمين حول تغيير القبلة من بيت المقدس (المسجد الأقصى) إلى البيت الحرام (الكعبة المشرفة) [٢]، فمن المعلوم أن المسلمين في العهد المكي كانوا يتوجهون في صلاتهم نحو بيت المقدس وهي قبلة المسلمين الأولى قبلة إسحق ويعقوب (إسرائيل) عليهما الصلاة والسلام وذرياتهما، وكان اليهود يحاجون المسلمين بأن المسلمين إنما هم تبع لهم في الدين، والقبلة خير شاهد على ذلك، ولذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرغب أن تكون قبلة المسلمين من أمته صلى الله عليه وسلم، نحو الكعبة المشرفة قبلة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، لكنه صلى الله عليه وسلم لم يصرح بذلك بل بقي الأمر في نفسه، وعيناه تتطلعان إلى السماء دون أن يشكو أو يبث همه حتى جاء الأمر من الله عز وجل بالتوجه شطر المسجد الحرام، قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاء [٣] مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ. وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا [٤] لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ

http://kotob.has.it

الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ. قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوِهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ. [٥] وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ. الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ. الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ. وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٤٢-١٤٨].

وفي الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً، حتى نزلت الآية التي في البقرة وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره، فنزلت بعدما صلى النبي صلى الله عليه وسلم، فانطلق رجل من القوم فمر بناس من الأنصار وهم يصلون فحدثهم فولوا وجوههم قبل البيت». [٦]

الحكمة في جعل بيت المقدس القبلة الأولى وليس الكعبة مباشرة:

يقول صاحب في ظلال القرآن حول هذه المسألة: (لقد كان تحويل القبلة أولاً عن الكعبة إلى المسجد الأقصى لحكمة تربوية أشارت إليها آية في هذا الدرس ﴿...وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ...﴾..فقد كان العرب يعظمون البيت الحرام في جاهليتهم، ويعدونه عنوان مجدهم القومي.. ولما كان الإسلام يريد استخلاص القلوب لله وتجريدها من التعلق بغيره وتخليصها من كل نعرة وكل عصبية لغير المنهج الإسلامي المرتبط بالله مباشرة، المجرد من كل ملابسة تاريخية أو عنصرية أو أرضية على العموم.. فقد نزعهم نزعاً من الاتجاه إلى بيت الله الحرام، واختار لهم الاتجاه –

http://kotob.has.it

فترة – إلى المسجد الأقصى، ليخلص نفوسهم من رواسب الجاهلية، ومن كل ما كانت تتعلق به في الجاهلية، وليظهر من يتبع الرسول اتباعاً مجرداً من كل إيحاء آخر، إتباع الطاعة الواثقة الراضية المستسلمة، ممن ينقلب على عقبيه اعتزازاً بنعرة جاهلية تتعلق بالجنس والقوم والأرض والتاريخ أو تتلبس بها في خفايا المشاعر وحنايا الضمير، أي تلبس من قريب أو بعيد)، إلى أن يقول (ولكنه ربط قلوب المسلمين بحقيقة أخرى بشأنه هي حقيقة الإسلام، حقيقة أن هذا البيت بناه إبراهيم وإسماعيل ليكون خالصاً لله ويكون تراثاً للأمة المسلمة التي نشأت تلبية لدعوة إبراهيم ربه أن يبعث في بنيه رسولاً منهم بالإسلام الذي كان عليه هو وبنوه وحفدته). (٧)

وإضافة إلى ذلك فإن صلاته صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس بيان أن ما جاء به عليه الصلاة والسلام هو ما جاء به غيره من الرسل عليهم الصلاة والسلام ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ...﴾ [الأحقاف: ٩]، وكذلك فإن قلوب المسلمين وأبصارهم يجب أن تبقى ترنو نحو القبلة الأولى ولا تغفل عنها وما يحدث للمسجد الأقصى من أخطار تهدده وجرائم بشعة في الأيام التي نعيشها خير شاهد على ذلك.

جعل البيوت قبلة:

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٨٧].

وقد ذهب المفسرون إلى أن هذا الحكم – وهو جعل البيت قبلة – كان بسبب الخوف من إعلان فريضة الصلاة جماعة (وكانوا أول أمرهم مأمورين بأن يصلوا إلى بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون على ذلك أول الإسلام بمكة). (٨)

هل كانت قبلة بني إسرائيل المسجد الأقصى أم البيت الحرام؟

ذهب بعض العلماء إلى أن القبلة التي وضعها الله عز وجل للناس في الأرض هي البيت الحرام منذ أن خلق الله عز وجل الأرض ومن عليها وهي

http://kotob.has.it

قبلة الصلاة والحج التي شرف الله عز وجل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام برفع قواعدها، ومنهم الزمخشري فقال في تفسيره: (والمعنى اجعلا بمصر بيوتاً من بيوته مباءة لقومكما ومرجعاً يرجعون إليه للعبادة والصلاة فيه ﴿...وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ...﴾ [يونس: ٨٧]، تلك ﴿...قِبْلَةً...﴾ أي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة، وكان موسى ومن معه يصلون إلى الكعبة). (٩)

وجاء في كتاب «أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ» (إن قبلة المسلمين منذ زمن لا يعلمه إلا الله هي بيت الله الحرام وهي التي كان يستقبلها إبراهيم عليه السلام «استقبل بوجهه البيت» الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى لأمة محمد صلى الله عليه وسلم المسلمة)، (١٠) وفيه أيضاً (بل ومن خصائصها (١١) كونها قبلة لأهل الأرض فليس على وجه الأرض قبلة غيرها). (١٢)

أقول: إن الكلام السابق بحاجة إلى دقة فقد أعطى القرآن الكريم والسنة المشرفة أهمية كبرى لبيت المقدس، ولقد وصف الله عز وجل هذه الأرض بالبركة في خمس مواضع من كتابه العزيز: (١٣)

أولاً: في سورة الإسراء حيث وصف المسجد الأقصى بأنه ﴿...الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ...﴾ [الإسراء: ١].

ثانياً: حين ذكرت الآيات الكريمة قصة الخليل إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١].

ثالثاً: لقد أورث الله سبحانه بني إسرائيل الأرض التي فيها قبلتهم بعد هلاك الظالمين، فقال سبحانه،﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ بِمَا صَبَرُواْ...﴾ [الأعراف: ١٣٧].

رابعاً: ذكر لنا سبحانه أنه قد سخر لرسوله سليمان عليه السلام مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعده، ومنه تسخير الريح التي تجري للأرض المباركة، وذلك في قوله تعالى:﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا...﴾ [الأنبياء: ٨١].

خامساً: وفي قصة سبأ وكيف منّ الله عليهم بالأمن والرغد، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ

http://kotob.has.it

سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ [سبأ: ١٨]، فهذه القرى التي بارك الله فيها هي قرى الشام وفلسطين.

وقد ذهب جمهور المفسرين من علماء السلف والخلف في تفسير قوله تعالى: «وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين: ١-٣]، إلى أن التين والزيتون يقصد بهما الأرض أو البلد التي تنبت التين والزيتون وهي بيت المقدس وذلك كناية عن رسالة المسيح صلى الله عليه وسلم.

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم فضل بيت المقدس (المسجد الأقصى) وأنه من المساجد التي تشد الرحال إليها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا ومسجد الحرام ومسجد الأقصى». (١٤) وأن فضل الصلاة فيه كبير لا يزيد على فضله إلا المسجد الحرام والمسجد النبوي.

ولو لم يكن بيت المقدس والمسجد الأقصى قبلة بني إسرائيل ولها ارتباط بعبادتهم فما الذي يجعل بني إسرائيل يخاطرون بأرواحهم وحياتهم أمام من سموهم بالجبارين، ويرفضون السماع لقول موسى عليه الصلاة والسلام عندما أمرهم بقتالهم، ثم يتيهون في الأرض أربعين سنة، ثم يعودون لفتح بيت المقدس وتخليصها من الوثنيين، ومن ثم يسكنها النبيون من ذرية إسحق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام إلا أن تكون قبلة لهم؟. ثم ألا تدل صلاته صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس على علمه أنها كانت قبلة للمسلمين السابقين من بني اسرائيل وغيرهم.

فلا بد بعد الأدلة السابقة من إثبات أن قبلة بني إسرائيل كانت إلى بيت المقدس (المسجد الأقصى) في صلاتهم، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن اليهود يحسدوننا على هذه القبلة التي هدانا الله لها وغفلوا عنها كما ورد في الحديث. (١٥)

ويبقى سؤال آخر: هل كان هناك قبلتان على الأرض أم أكثر؟

ولا يوجد ما يمنع ذلك فقد تكون قبلة بني إسرائيل ومن جاورهم من غيرهم من الأمم المسلمة الأخرى القريبين إلى فلسطين هي بيت المقدس (المسجد الأقصى) في الصلاة، وكانت قبلة الحج هي بيت الله الحرام (الكعبة).

http://kotob.has.it

أما لمن كان في جوار الكعبة المشرفة من نسل إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام ومن جاورهم من غيرهم فهي بيت الله الحرام في الصلاة والحج وغيرها، قال ابن تيمية - رحمه الله - (وصلى النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون إلى الكعبة وصارت هي القبلة، وهي قبلة إبراهيم عليه السلام وغيره من الأنبياء). (١٦)

http://kotob.has.it

الهوامش

(١) المفردات، صفحة ٦٥٤.

(٢) كان هناك أيضاً، نزاع من قبل عرب الجاهلية ضد النبي عليه الصلاة والسلام لتركه قبلة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام والتوجه نحو غيرها.

(٣) السفهاء: جمع سفيه وهو خفيف العقل، واختلف في المراد بالسفهاء فقيل اليهود، وقيل هم المنافقون، وقيل الكفار. قال ابن حجر (والمراد بالسفهاء الكفار وأهل النفاق واليهود، أما الكفار فقالوا لما حولت القبلة: رجع محمد إلى قبلتنا وسيرجع إلى ديننا فإنه علم أنا على الحق، وأما أهل النفاق فقالوا: إن كان أولا على الحق فالذي انتقل إليه باطل وكذلك العكس، وأما اليهود فقالوا خالف قبلة الأنبياء ولو كان نبياً ما خالف)، فتح الباري ج٨: ١٧١.

(٤) الوسط: أي الخيرية والاعتدال والأفضلية.

(٥) قال صاحب الظلال ج١: ١٨٦، (إنهم ليعلمون أن المسجد الحرام هو بيت الله الأول الذي رفع قواعده إبراهيم، جد هذه الأمة الوارثة وجد المسلمين أجمعين، وأنهم ليعلمون أن الأمر بالتوجه إلى الكعبة حق من عند الله لا مرية فيه).

(٦) البخاري مع الفتح ج٨: ١٧١ ح [٤٤٨٦]، ومسلم مع الشرح ج ٥: ٩–١٠، واللفظ له.

(٧) الظلال ج١: ١٧٤.

(٨) الكشاف ج٢: ٣٥١، ومن المعلوم أنه يسقط التوجه نحو القبلة عند الخوف خاصة في الجهاد، وعند العجز كالمأسور إلى جهة غير القبلة، والمريض الذي ليس عنده من يوجهه وفي صلاة النفل للمسافر.

(٩) المرجع السابق.

(١٠) صفحة ٥٤، الرسالة الثالثة.

(١١) أي مكة المكرمة زادها الله تشريفاً.

(١٢) المرجع السابق صفحة ١٢٧.

http://kotob.has.it

(١٣) القدس قضية كل مسلم، د. يوسف القرضاوي صفحة ١٣-١٥ بتصرف.

(١٤) البخاري مع الفتح ج٣: ٦٣ ح [١١٨٩]، ومسلم مع الشرح ج٩: ١٧٦-١٦٨ ح [٥١١].

(١٥) انظر صفحة ٨٧.

(١٦) مجموع الفتاوى ج٢٧: ١١.

http://kotob.has.it

المساجد

قال تعالى: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾ [الجن: ١٨]

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

المساجد

المساجد هي بيوت الله عز وجل التي وضعها للعبادة في الأرض، قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٦-٣٧].

والمساجد هي أحب البقاع إلى الله عز وجل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أحب البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها». [١]

والمسجد مشتق من السجود وهو رمز الصلاة ففي الحديث «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء». [٢]

وقد تميزت هذه الأمة أن جعلت الأرض لها مسجداً، بخلاف الأمم السابقة التي كانت عباداتها في المساجد، ففي الحديث عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة». [٣]

وعن علي رضي الله عنه قال: (المساجد مجالس الأنبياء وحرز من الشيطان). [٤]

الأدلة على كون المساجد بيوت الله عز وجلّ:

أولاً: ما ثبت في الصحيحين في أن المسجد الحرام والمسجد الأقصى هما في الأرض قبل بدء خلق البشرية:

http://kotob.has.it

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: «قلت: يا رسول الله! أي مسجد وضع في الأرض أولاً؟ قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة، وأينما أدركتك الصلاة فصلّ فهو مسجد». (٥)

ثانياً: ما جاء في الآيات الكريمة من ذكر المسجد في قصة أصحاب الكهف:

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١].

ويعقب الدكتور صلاح الخالدي على هذه الآية الكريمة فيقول: (ونلحظ روح التعالي والتكبر والتسلط والدكتاتورية في قولهم ﴿...لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾، لقد غلبوا قومهم على أمرهم وتحكموا فيهم وعاملوهم بتكبر واستعلاء وخاطبوهم بحزم وجزم لا يقبل الحوار أو المناقشة أو التراجع ﴿...لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾).

ويتابع الخالدي بعد أن ذكر الأدلة على تحريم بناء المساجد على قبور الأنبياء والصالحين: (ونفهم من هذه الأحاديث ذم السابقين الذين بنوا المساجد على قبور أنبيائهم وصالحيهم بل ولعنهم لتلك الجريمة، وهذا يدل على أن الذين صمموا على بناء المسجد على أصحاب الكهف ليسوا من المؤمنين الصالحين، وأن رأيهم ليس صائباً ولا مقبولاً. ونفهم من التوكيد في جملة ﴿...لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ أن أولئك الحاكمين المتنفذين نفذوا ما صمموا عليه وبنوا المسجد على ذلك الكهف). (٦)

ثالثاً: الدعوة لكل البشر بالتوجه إلى المساجد لعبادة الله عز وجل: بعد أن أمرهم بستر العورة وأخذ الزينة وتحذيرهم من الشيطان أن يفتنهم، قال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

رابعاً: الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الواردة حول المسجد الأقصى: (٧)

فهو بيت من بيوت الله عز وجل أطال فيه الصالحون ركوعهم وسجودهم لله

http://kotob.has.it

سبحانه، فلم يكن المسجد الأقصى في يوم من الأيام كنيسة أو هيكلاً أو غير ذلك. قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]. والدخول إنما كان في المرة الأولى للمسجد وليس للهيكل أو غيره وكذلك الدخول الثاني قال تعالى: ﴿...فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: ٧].

أما الأحاديث الشريفة:

١- حديث أبو ذر الغفاري السابق.

٢- ما ورد في اجتماع بني إسرائيل في المسجد الأقصى لتلبية نداء يحيى بن زكريا وعيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام، «فجمع بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد فقعد على الشرف».

٣- دعاء سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام: «أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد».

٤- وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «إن بني إسرائيل استخلفوا خليفة عليهم بعد موسى عليه الصلاة والسلام فقام يصلي ليله فوق بيت المقدس في القمر فذكر أموراً صنعها فخرج فتدلى فأصبح السبب معلقاً في المسجد».

٥- حادثة الإسراء والمعراج، وصلاته صلى الله عليه وسلم إماماً بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام في المسجد الأقصى. (٨)

خامساً: ذكر المسجد في قول الله عز وجل: ﴿...وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا...﴾ [الحج: ٤٠].

فالمسجد هو العامر بذكر الله عز وجل، وهو الذي يمكر المفسدون لهدمه وتعطيل ذكر الله فيه.

سادساً: المساجد في بني إسرائيل: كان المؤمنون من بني إسرائيل يصلون في المسجد الأقصى الذي كان يعتبر قبلة لهم، وكان من هو بعيد عن المسجد

http://kotob.has.it

الأقصى يصلي في المساجد، وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم مسجده عند بنائه بعريش موسى عليه الصلاة والسلام، فقال عليه الصلاة والسلام: «ابنوه عريشاً كعريش موسى». (٩)

وقد كان الرجال والنساء يصلون جميعاً في المساجد كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «كان الرجال والنساء في بني إسرائيل يصلون جميعاً، فكانت المرأة تتشرف للرجل، فألقى الله عليهن الحيض ومنعهن من المساجد». وقد منعن من الصلاة في المساجد كما في حديث عائشة رضي الله عنها.

وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الدنيا فقال: «إن الدنيا خضرة حلوة، فاتقوها واتقوا النساء، ثم ذكر نسوة ثلاثاً من بني إسرائيل إمرأتين طويلتين تعرفان، وامرأة قصيرة لا تعرف، فاتخذت رجلين من خشب، وصاغت خاتماً فحشته من أطيب الطيب المسك، وجعلت له غلقاً، فإذا مرت المسجد، أو بالملأ قالت به ففتحته، ففاح ريحه...». (١٠)

وقد فَسر الرازي قول الله عز وجل في الحديث عن زوجة عمران أم مريم رضي الله عنها ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٥-٣٦].

(قال الأصم: لم يكن لبني إسرائيل غنيمة ولا سبي... ذلك أنه كان الأمر في دينهم أن الولد إذا صار بحيث يمكن استخدامه كان يجب عليه خدمة الأبوين، فكانوا بالنذر يتركون ذلك النوع من الانتفاع ويجعلونه لخدمة المسجد وطاعة الله). (١١)

وقال ابن عباس ﴿...نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا...﴾ للمسجد يخدمه، قال ابن حجر: (هذا التعليق وصله ابن أبي حاتم بمعناه. (قوله محرراً أي معتقاً)، والظاهر أنه كان في شرعهم صحة النذر في أولادهم، وكأن غرض البخاري الإشارة بإيراد هذا إلى أن تعظيم المسجد بالخدمة كان مشروعاً عند الأمم السالفة حتى إن بعضهم وقع منه نذر ولده لخدمته). (١٢)

http://kotob.has.it

سابعاً: إن الفضل والخير يكون يوم القيامة لرواد المساجد ولمن عمرها: فلأهل المساجد الخير العظيم يوم القيامة، فهم في ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله. عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله، الإمام العادل، وشاب نشأ بعبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه». (١٣)

بل إن عُمّار المساجد بالبناء والذكر والملازمة، يكونون في جوار الرحمن، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله لينادي يوم القيامة أين جيراني، أين جيراني، قال فتقول الملائكة: ربنا! ومن ينبغي أن يجاورك؟ فيقول أين عُمّار المساجد». (١٤)

وكل عبد من عباد الله يرغب أن يكون له بيت في الجنة، فما عليه إلا أن يبني لله تعالى مسجداً في الأرض يذكر فيه اسمه، فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من بنى لله تعالى مسجداً – قال بكير – حسبت أنه قال: يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتاً في الجنة». (١٥)

ثامناً: والنبي صلى الله عليه وسلم بين أن أصل مكان العبادة عند كل المسلمين كان مسجداً: وقد قام البعض ببناء المساجد فوق قبور بعض الأنبياء أو الصالحين. عن عائشة أم المؤمنين أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير فَذَكَرتا للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: «إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة». (١٦)

وفي رواية «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». (١٧)

عن عبد الله بن الحارث النجراني، قال حدثني جندب، قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم

http://kotob.has.it

خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك». (١٨)

قال الإمام النووي: (إنما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجداً خوفاً من المبالغة في تعظيمه والافتتان به فربما أدى ذلك إلى الكفر، كما جرى لكثير من الأمم الخالية). (١٩)

تاسعاً: ذكر المحراب: المحراب: هو الموضع العالي الشريف. (٢٠)

وقد سمي موقف الإمام من المسجد محراباً لأنه أشرف المجالس في المسجد، ومنه قيل للقصر محراب لأنه أشرف المنازل... وقيل المحراب موضع مستقبل الصلاة، سمي بذلك لأن المصلي بطاعة الله محارب لأعدائه أو للشيطان. (٢١)

وقد جاء الحديث عن المحاريب عند ذكر جماعة من الأنبياء خصوصاً أنبياء بني إسرائيل.

أولاً: زكريا عليه الصلاة والسلام ومريم بنت عمران رضي الله عنها:

قال الله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧]، وقال الله تعالى عن بشارة زكريا بيحيى عليهما الصلاة والسلام: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ...﴾ [آل عمران: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١]. (٢٢)

ثانياً: داود عليه الصلاة والسلام: (٢٣) قال عز وجل: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ...﴾ [ص:٢١-٢٢].

ثالثاً: سليمان عليه الصلاة والسلام، فقد سخر الله عز وجل له الجن فكانوا يعملون له التماثيل والمحاريب: قال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

http://kotob.has.it

قال ابن عاشور (والمحراب بناء يتخذه أحد ليخلو فيه بتعبده وصلاته وأكثر ما يتخذ في علو ويرتقى إليه بسلم أو درج وهو غير المسجد... ثم أطلق المحراب عند المسلمين على موضع كشكل نصف قبة في طول قامة ونصف، يجعل بموضع القبة ليقف فيه الإمام للصلاة، وهو إطلاق مُوَلّد، وأول محراب في الإسلام محراب مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم صنع في خلافة الوليد بن عبد الملك مدة إمارة عمر بن عبد العزيز على المدينة). (٢٤)

اعتراضات:

على أن ما ذكرته لا بد أن يمر باعتراضات لدى البعض.

والاعتراض الأول: ذكر البيع والصلوات والصوامع كأماكن عبادة لدى السابقين في قوله تعالى: ﴿...وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا...﴾ [الحج: ٤٠].

فقد ذكرت الآية الكريمة وجود أماكن للعبادة وهي الصوامع والبيع والصلوات وليس المساجد فقط. وقد جاء ذكر الصوامع التي يتعبد بها لله تعالى في قصة جريج العابد ولم ينكر النبي عليه الصلاة والسلام ذلك.

الرد: وقبل الرد على هذا الاعتراض فإنني أبدأ ببيان المقصود من هذه الأماكن.

البيعة: متعبد النصارى. قال ابن القيم: (إن أهل اللغة والتفسير على أن البيعة معبد النصارى إلا ما حكيناه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «البيع مساجد اليهود»). (٢٥) أي باعتبار ما كانت فهي في الأصل مساجد.

الصومعة: فقال ابن عابدين: (الصومعة بيت يبنى برأس طويل ليتعبد فيه بالانقطاع عن الناس). (٢٦)

الدير: فهو مقام الرهبان والراهبات من النصارى ويجتمعون فيه للرهبانية والتفرد عن الناس.(٢٧)

الصلوات: فهي كنائس اليهود وهي بالعبرانية (صلوتا) وقيل للنصارى. (٢٨)

وقد ذكرت الصومعة إضافة إلى الآية في حديث جريج العابد، وكان الحديث عن صلاة النافلة والانعزال للتقرب إلى الله عز وجل، ويطلق الدير على

http://kotob.has.it

الصومعة كذلك، ففي الحديث: «كان جريج يتعبد في صومعته فجاءت أمه، ...فصادفوه يصلي فلم يكلمهم، قال: فأخذوا يهدمون ديره فلما رأى ذلك نزل».

ولم تكن هذه الصوامع أو البيع في زمن موسى عليه الصلاة والسلام للأدلة السابقة، وقوله صلى الله عليه وسلم عندما كان يشرع في بناء مسجد المدينة «إبنوه عريشاً كعريش موسى»، ولم تكن كذلك في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام.

وقد ورد في قصة جريج عند الإمام أحمد: «كان رجل في بني إسرائيل تاجراً، وكان ينقص مرة و يزيد أخرى، فقال: ما في هذه التجارة خير، ألتمس تجارة خير من هذه، فبنى صومعة وترهب فيها وكان يقال له جريج»، (٢٩) قال ابن حجر: (ودل ذلك أنه كان بعد عيسى بن مريم وأنه كان من أتباعه لأنهم الذين ابتدعوا الترهب وحبس النفس في الصوامع). (٣٠)

ولو كانت البيع من بيوت الله عز وجل لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بهدمها وتحويلها إلى مساجد.

عن قيس بن طلق عن أبيه طلق بن علي قال: «خرجنا وفداً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فبايعناه وصلينا معه، وأخبرناه أن بأرضنا بيعة لنا فاستوهبناه من فضل طهوره فدعا بماء فتوضأ وتمضمض ثم صبه في إداوة، وأمرنا فقال: اخرجوا فإذا أتيتم أرضكم فاكسروا بيعتكم وانضحوا مكانها بهذا الماء واتخذوها مسجداً، قلنا إن البلد بعيد والحر شديد والماء ينشف، فقال مدوه من الماء فإنه لا يزيده إلا طيباً، فخرجنا حتى قدمنا بلدنا فكسرنا بيعتنا ثم نضحنا مكانها واتخذناها مسجداً فنادينا فيه بالأذان، قال والراهب رجل من طيء فلما سمع الأذان، قال دعوة حق ثم استقبل تلعة من تلاعنا فلم نره بعد». (٣١)

وقد نهى الإسلام عن التشدد في العباد وتحميل النفس ما لا تطيق كما فعل أصحاب الصوامع، فعن سهل بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تشددوا على أنفسكم، فإنما أهلك من قبلكم بتشديدهم على أنفسهم، وستجدون بقاياهم في الصوامع والديارات». (٣٢)

أقول: إنني لا أنفي وجود من كان يعبد الله عز وجل ويصلي في الصوامع،

http://kotob.has.it

فهذا واضح من خلال الآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة، لكن أقول أن هذه الصوامع والبيع وغيرها إنما كانت لأشخاص منعزلين في الجبال وغيرها يتقربون بصلواتهم لله عز وجل مع وجود المساجد التي يجتمع فيها الناس للصلاة والذكر وسماع المواعظ.

وقد أجاز الإسلام الانقطاع للعبادة في رؤوس الجبال خاصة عند فساد الناس وكثرة الفتن، فعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يأتي على الناس زمان خير مال الرجل المسلم الغنم يتبع بها شغف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن». (٣٣)

الاعتراض الثاني: لقد ذكر أن السابقين كانوا يصلون في الكنائس وقد ورد هذا في رواية عبد الله بن عمرو: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عام غزوة تبوك قام من الليل يصلي، فاجتمع وراءه رجال من أصحابه يحرسونه حتى إذا صلى انصرف إليهم فقال لهم: لقد أعطيت خمساً ما أعطيهن أحد قبلي، أما أنا فأرسلت إلى الناس كلهم عامة وكان قبلي إنما يرسل إلى قومه، ونصرت على العدو بالرعب، ولو كان بيني وبينهم مسيرة شهر لملىء منه رعباً، وأحلت لي الغنائم كلها وكان من قبلي يعظمون أكلها، كانوا يحرقونها، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً أينما أدركتني الصلاة تمسحت وصليت، وكان من قبلي يعظمون ذلك إنما كانوا يصلون في كنائسهم وبيعهم...». (٣٤)

الرد: هذا الحديث مروي عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، منهم أبو هريرة وجابر بن عبد الله وحذيفة وأبو أمامة وأبو ذر وعبد الله بن عباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، (٣٥) بلفظ (وجعلت الأرض لي مسجداً)، وليس فيه ذكر الكنيسة إلا من رواية عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، والحديث لا يرتفع إلى درجة الصحة بل غاية ما فيه أنه حسن، والحديث الحسن كما عرفه العلماء: هو الحديث الذي اتصل سنده بنقل عدل خف ضبطه من غير شذوذ ولا علة. (٣٦)

فلعل الخطأ أو الوهم الذي وقع فيه الراوي في هذه اللفظة، والتي لم يذكرها الثقات الأثبات، والذين خرج لهم البخاري ومسلم في صحيحيهما والأئمة الأربعة في السنن دون هذه اللفظة.

http://kotob.has.it

ويمكن الرد من باب آخر وهو أن ذكر الكنيسة باعتبار ما عرف واشتهر به بين الناس، وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم: «أراكم ستشرفون مساجدكم بعدي كما شرفت اليهود كنائسها وكما شرفت النصارى بيعها». (٣٧)

والأصل في مكان العبادة واحد، فما جاء به عيسى عليه السلام لم يكن ليختلف عما جاء به موسى عليه الصلاة والسلام، بل إن تعدد الأسماء ما بين بيع وصلوات وكنائس وصوامع وأديرة يدل على تغير في الاسم، وعدم الثبات في تسميـــة مكان العبادة ودخـــول التحريـــف إليه ليس في الاسم فقط بل في التشريــف وغيره، وعلـــى فرض أن العبادة في بني إسرائيـــل كانت في الكنائس، فما اسم بيوت اللـــه عز وجل عند الأمم المسلمـــة الأخرى من غير بـنـي إسرائـيـــل؟ عـلـى أن الإمـام ابـن تـيـمـيـــة رفـض اعـتـبـــار الـبـيـع والكنائس من بيوت الله، فقال: (ليست بيوت الله، وإنما بيوت الله المساجد) (٣٨) والله أعلم.

الاعتكاف في المساجد:

وهو من قبيل الخلوات التي يختلي فيها الإنسان بخالقه سبحانه وتعالى، فيناجيه ويطلب رضوانه ويسأله مغفرةً وصفحاً عن زلاته ومعاصيه، ويطمع في جنة ربه التي أعدت للمتقين.

والعكوف في اللغة: الإقبال على الشيء وملازمته على سبيل التعظيم له. قال تعالى على لسان خليله إبراهيم عليه السلام مخاطباً قومه: ﴿...مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢].

والاعتكاف في الشرع: هو الاحتباس في المسجد على سبيل القربة. (٣٩)

قال تعالى: ﴿...وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥].

والاعتكاف في المساجد من الأمور التي كانت معروفة عند العرب وهي من بقايا ملة إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر قال: «يا رسول الله إني نذرت في الجاهلية أن اعتكف ليلة في المسجد الحرام، قال فأوف بنذرك». (٤٠)

http://kotob.has.it

الخطبة ووعظ الناس:

وهي من جملة الأمور التي تذكر الناس بخالقهم عز وجل وفضل ذكره، إضافة إلى تعليمهم أمور دينهم، وبيان شرع الله تعالى وحثهم على عمل كل ما فيه خير وسعادة لهم في الدارين الأولى والآخرة.

قال عز وجل محدثاً عن موسى عليه الصلاة والسلام ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥].

فهو عليه الصلاة والسلام أمر بأن يذكرهم ﴿...بِأَيَّامِ اللّهِ...﴾ (وأنذرهم بوقائعه التي وقعت على الأمم قبلهم: قوم نوح وعاد وثمود). [٤١]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: حدثني أُبي عن كعب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم»، [٤٢] في رواية «ذكر الناس يوماً حتى فاضت العيون ورقت القلوب». [٤٣]

وفي حديث عيسى ويحيى عليهما الصلاة والسلام:

«قال فجمع بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد فقعد على الشرف فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن». [٤٤]

http://kotob.has.it

الهوامش

(١) مسلم مع الشرح ج٥: ١٧١ ح [٢٨٨].

(٢) مسلم مع الشرح ج٤: ٢٠٠.

(٣) البخاري مع الفتح ج١: ٦٨٩-٦٩٠ ح [٤٣٨]، ومسلم مع الشرح ج٥: ٣-٤، قلت والحديث لا يفيد الحصر، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة»، مسلم مع الشرح ج٥: ٤ ح [٤]، وفي رواية «فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم»، البخاري مع الفتح ج١٣: ٣٠٣ ح [٧٢٧٣]، ومسلم مع الشرح ج٥٥ ح [٥].

(٤) أورده الخطيب البغدادي في الجامع، كنز العمال ج٨: ٣١٩ رقم [٢٣٠٩٧].

(٥) البخاري مع الفتح ج٦: ٤٠٧ ح [٣٣٦٦]، ومسلم مع الشرح ج٥: ٢ ح [١].

(٦) مع قصص الصالحين في القرآن، د.صلاح عبد الفتاح الخالدي صفحة ٨٣-٨٥.

(٧) المسجد الأقصى اسم لجميع المسجد الذي جدد بناءه سليمان عليه الصلاة والسلام، وقد صار بعض الناس يسمي المصلى الذي بناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مقدمته، وهذا من الأخطاء الشائعة بين كثير من المسلمين الفتاوى ج٢٧: ١١ بتصرف.

(٨) وقد تم ذكر أدلة أخرى عند الحديث عن القبلة.

(٩) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، وصححه الألباني، السلسلة الصحيحة ج٢: ١٧٧ ح [٦٠٦].

(١٠) أخرجه ابن خزيمة في (صحيحه) ج٣: ٩٩ ح [١٦٩٩]، قال الألباني: (إسناده صحيح)، قلت: ولمسلم منه قصة النسوة الثلاث، مسلم مع الشرح ج١٥: ٨-٩ ح [١٨].

(١١) التفسير الكبير ج٣: ٢٠٣.

(١٢) فتح الباري ج١: ٧١٧.

http://kotob.has.it

(١٣) البخاري مع الفتح ج٢: ١٤٣ ح [٦٦٠]، ومسلم مع الشرح ج٧: ١٢٠-١٢٢.

(١٤) أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ج٦: ٥١٢ ح [٢٧٢٨] القسم الأول.

(١٥) البخاري مع الفتح ج١: ٧٠٤ ح [٤٥٠]، ومسلم مع الشرح ج٥: ١٤.

(١٦) البخاري مع الفتح ج١: ٦٨٨ ح [٤٣٤]، ومسلم مع الشرح ج٥: ١١، واللفظ له.

(١٧) البخاري مع الفتح ج١: ٦٨٩ ح [٤٣٥]، ومسلم مع الشرح ج٥: ١٢.

(١٨) مسلم مع الشرح ج٥: ١٣.

(١٩) شرح مسلم ج٥: ١٣.

(٢٠) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني ج١: ١٩٨.

(٢١) إعلام الساجد بأحكام المساجد، محمد بن عبد الله الزركشي صفحة ٣٦٤.

(٢٢) وقد ذهب بعض المفسرين إلى المقصود بقوله تعالى ﴿...أَن سَبِّحُوا...﴾ [مريم: ١١]، أي صلوا، الكشاف ج٣: ١٢.

(٢٣) وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه صلى في محراب داود عليه السلام، إبان فتح بيت المقدس، الفتاوى ج٢٧: ٢١.

(٢٤) التحرير والتنوير ج٣: ٢٣٧.

(٢٥) أحكام أهل الذمة لابن القيم ج٢: ٦٦٩.

(٢٦) حاشية ابن عابدين ج٤: ٢٠٢.

(٢٧) و(٢٨) الموسوعة الفقهية ج٣٨: ١٤٩.

(٢٩) أخرجه أحمد، وقال الأرناؤوط (إسناده ضعيف بهذا السياق من أجل عمرو بن أبي سلمى، وقد تفرد بمطلع هذا الحديث بهذه السياقة)، المسند ج١٥: ٣٧٠ ح [٩٦٠٣]، والألباني، السلسلة الضعيفة ج٣: ٤١٨ ح [١٢٦١].

(٣٠) فتح الباري ج٦: ٤٨٠.

(٣١) أخرجه النسائي، وأحمد، وابن حبان، في (صحيحه)، وصححه الألباني، السلسلة الصحيحة ج٦: ١٦٤ ح [٢٥٨٢]، القسم الأول، وصححه الأرناؤوط، الإحسان ج٣: ٤٠٥-٤٠٦ ح [١١٢٣]، قلت: وهذا لا يتعارض مع نهيه صلى الله عليه وسلم للمجاهدين عن هدم الصوامع والبيع، لأن الإسلام لا يقبل الإكراه في الدين، أما هذه الحالة فقد أسلم جميع أهل الحي وقد كسروا البيعة بأيديهم هم بعد إسلامهم.

(٣٢) أخرجه الطبراني، في المعجم الكبير والأوسط، والبيهقي في (شعب الإيمان)، وصححه

http://kotob.has.it

الألباني، السلسلة الصحيحة ج٧: ٣٣٢-٣٣٣ ح [٣١٢٤].

(٣٣) البخاري مع الفتح ج١١: ٣٣١ ح [٦٤٩٥].

(٣٤) أخرجه أحمد، وحسنه الألباني، في إرواء الغليل ج١: ٣١٧، وحسنه الأرناؤوط، وقال: (صحيح وهذا إسناد حسن)، المسند ج١١: ٦٣٩ ح [٧٠٦٨].

(٣٥) إرواء الغليل ج١: ٣١٥-٣١٧، وقد ذهب الألباني إلى أن الحديث (صحيح متواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم).

(٣٦) منهج النقد في علوم الحديث، نور الدين عتر صفحة ٢٦٤.

(٣٧) أخرجه ابن ماجة، وضعفه الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة ج٦: ٢٥٦ح [٢٧٣٣]، وقال الألباني (وقد صح الحديث عن ابن عباس بإسناد آخر مرفوعاً بلفظ «ما أمرت بتشيد المساجد» قال ابن عباس: لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى) صحيح سنن أبي داود ج١: ٩٠ ح [٤٤٣١].

(٣٨) الفتاوى ج٢٢: ١٦٢.

(٣٩) المفردات صفحة ٥٧٩.

(٤٠) البخاري مع الفتح ج٤: ٢٧٤ ح [٢٠٣٢]، ومسلم مع الشرح ج١١: ١٢٤، واللفظ له.

(٤١) الكشاف ج٢: ٥١٩.

(٤٢) البخاري مع الفتح ج٨: ٤٠٩ [٤٧٢٥].

(٤٣) البخاري مع الفتح ج٨: ٤١١ ح [٤٧٢٦]، ومسلم مع الشرح ج١: ١٤٢-١٤٣، وفيه عند مسلم (يذكرهم بأيام الله وأيام الله ونعماؤه وبلاؤه).

(٤٤) سبق تخريجه صفحة ٦٦.

http://kotob.has.it

الصيام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«... والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك...».

البخاري مع الفتح ج٤: ١٠٣ ح [١٨٩٤].

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الصيام

الصوم من العبادات التي شرعها الله عز وجل لأمة محمد صلى الله عليه وسلم وغيرها من الأمم المسلمة السابقة، لما فيه من الفوائد الكثيرة، فالصوم طاعة لله عز وجل ينال عليها المؤمن ثواباً عظيماً لا يعلم حدوده، لأنه لله عز وجل، وكرمه سبحانه واسع، وينال الصائم رضوان الله عز وجل، واستحقاق دخول الجنان من باب خاص أُعد للصائمين يقال له الريان.

فقد جاء في الحديث الشريف عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن في الجنة باباً يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد». (١)

إضافة إلى ذلك فإن الصيام يعتبر مدرسة خلقية كبرى فيها تدرب على إلجام الأهواء والشهوات، والشعور بما يعتري الفقراء والمساكين من آلام الفقر والحرمان. ويبقى الصائم يستشعر دائماً مراقبة الله عز وجل له في السر والعلن، ليتحقق أمر التقوى الذي هو الأساس الذي فرض الصيام لأجله. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

والعلم والطب يكشفان ما للصيام من الفوائد الغزيرة على الجسم البشري خاصة في إعادة المعدة لتنظيم وتجديد خلاياها خلال فترة من الزمن، ولبعض أنواع الأمراض.

http://kotob.has.it

تعريف الصوم:

الصوم لغة: الإمساك والكف عن الشيء، يقال صام عن الكلام أي أمسك عنه، قال عز وجل إخباراً عن مريم: ﴿...إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٦]، أي صمتاً وإمساكاً عن الكلام.

أما فقهاء الإسلام فقد قالوا (بأنه الإمساك عن شهوتي البطن والفرج من بياض النهار – الفجر – إلى سواد الليل – إلى غروب الشمس). (٢)

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

جاء في تفسير ابن كثير رحمه الله (يقول تعالى مخاطباً المؤمنين من هذه الأمة وآمراً لهم بالصيام وهو الإمساك عن الطعام والشراب والوقاع بنية خالصة لله لما فيه من زكاة النفوس وطهارتها وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة، وذكر أنه كما أوجب عليهم فقد أوجبه على من كان قبلهم، فلهم فيه أسوة حسنة ليجتهد هؤلاء في أداء هذا الفرض أكمل مما فعله أولئك). (٣)

وقد اختلف المفسرون في تفسير التشبيه الذي دلت عليه الكاف في قوله عز وجل: ﴿...كَمَا كُتِبَ...﴾ هل هو على الحقيقة، فيكون صيام رمضان كتب على اللذين من قبلنا أو المراد مطلق الصيام دون وقته وقدره؟.

أما القول الأول: فذهب إليه مجموعة من العلماء منهم الحسن البصري والسدي وقتادة وغيرهم، وقد روي عن الحسن البصري أنه قال: (إن الله تعالى فرض رمضان على اليهود والنصارى، أما اليهود فإنها تركت هذا الشهر وصامت يوماً من السنة وزعموا أنه يوم غرق فيه فرعون، وأما النصارى فإنهم صاموا رمضان فصادفوا فيه الحر الشديد فحولوه إلى وقت لا يتغير، ثم قالوا عند ذلك نزيد فيه فزادوا عشراً، ثم بعد زمان اشتكى ملكهم فنذر سبعاً فزادوه، ثم جاء بعد ذلك ملك آخر فقال: ما بال هذه الثلاثة فأتمه خمسين يوماً). (٤)

وعنه أنه قال: (نعم والله لقد كتب الصيام على كل أمة قد خلت كما كتبه علينا شهراً كاملاً وأياماً معدودات). (٥)

واستدلوا بأن الكتب السماوية السابقة نزلت في شهر رمضان المبارك، فعن

http://kotob.has.it

وائلة بن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشر خلت من رمضان، وأنزل الله القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان». (٦)

وفي بعض الروايات ما يثبت وجوب صيام شهر رمضان عند الأمم السابقة منها ما أخرجه ابن أبي حاتم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صيام رمضان كتبه الله على الأمم قبلكم». (٧)

وقد جاء في الكشاف: (فإن قلت لما سمي (شهر رمضان) قلت الصوم فيه عبادة قديمة فكأنهم سموه بذلك لإرتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة شدته، كما سموه ناتقاً لأنه كان ينتقهم أي يزعجهم اضجاراً بشدته عليهم). (٨)

قال صاحب بستان الواعظين في تفسير هذه الآية الكريمة: (فيه أقوال كثيرة وأصحها أن المعنى فرض عليكم الصيام كما فرض على الأمم الماضية التي سلفت من قبلكم... وقيل أشار الله تعالى بقوله: ﴿...كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ...﴾ أي الأمم الخالية، وهذه الآية مدح لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، لأن ما من أمة ولا نبي إلا وقد فرض الله تعالى عليه وعلى أمته صيام شهر رمضان، فآمنت به هذه الأمة وكفرت به سائر الأمم). (٩)

أما القول الثاني: وهو إن التشبيه واقع على الصوم نفسه، فقد ذهب ابن حجر رحمه الله إلى أنه: (قول الجمهور وأسنده ابن أبي حاتم والطبري عن معاذ وابن مسعود وغيرهما من الصحابة والتابعين، وزاد الضحاك: ولم يزل الصوم مشروعاً من زمن نوح). (١٠)

قلت: أما ما رجحه الإمام الطبري فهو القول الأول فقال: (وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال معنى الآية يا أيها الذين آمنوا فرض عليكم الصيام كما فرض على الذين من قبلكم من أهل الكتاب أياماً معدودات، وهي شهر رمضان كله، لأن من بعد إبراهيم صلى الله عليه وسلم كان مأموراً باتباع إبراهيم، وذلك أن الله جل ثناؤه كان جعله للناس إماماً، وقد أخبرنا الله عز وجل أن دينه كان الحنيفية المسلمة، فأمر صلى الله عليه وسلم بمثل الذي أمر به من قبله من الأنبياء، وأما التشبيه فإنما وقع على الوقت وذلك أن

http://kotob.has.it

من كان قبلنا إنما كان فرض عليهم شهر رمضان مثل الذي فرض علينا سواء). (١١)

ولم أجد للفريق الثاني حجة يستندون بها إلا أن هذا الشهر مما اختص به الله عز وجل أمة محمد صلى الله عليه وسلم بصيامه دون سائر الأمم، وهذا لا دليل عليه من الكتاب الكريم أو السنة المشرفة وإنما هو باجتهادهم.

وأقول: ما الذي يمنع كون صيام رمضان كتب على الأمم المسلمة السابقة؟ فلو لم تأتِ الأدلة السابقة شاهدة على ذلك فهل يمنعه العقل؟ وهل تُحرم الأمم المسلمة والمؤمنة السابقة خير هذا الشهر العظيم وما فيه من الخير والبركة؟

كيفية الصيام:

والسؤال الثاني المطروح في مسألة صيام السابقين هو عن الكيفية التي كان فيها الصوم عندهم. فهل صيامهم مثل ما أمر به المسلمين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، أم إنهم كانوا يصومون عن طعام أو شراب معين في أيام معينة ويحل لهم غير ذلك من الأطعمة؟

فأقول - وبالله التوفيق - إن كيفية الصيام عند الأمم المسلمة السابقة لا تختلف عما نحن فيه الآن، فقد كانوا مأمورين بالإمساك عن المفطرات في نهار رمضان وكانوا يتقوون على الصيام بوجبتين وجبة الإفطار ووجبة السحور.

فقد جاء في حديث يحيى وعيسى عليهما السلام «وآمركم بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك في عصابة كلهم يجد ريح المسك وإن خُلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك». (١٢)

والخلوف بضم الخاء، هو تغير رائحة الفم نتيجة خلو المعدة من الطعام، فهذا دليل على أنهم لم يكونوا يأكلوا أو يشربوا شيئاً.

ومن الأدلة أيضاً ما ورد في قول النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو رضي الله عنه في الحديث عن صيام التطوع قال: «صم يوماً وافطر يوماً وذلك صيام داود وهو أعدل الصيام، قلت إني أطيق أفضل منه يا رسول الله قال لا أفضل من ذلك». (١٣)

http://kotob.has.it

فلو كانت الكيفية مختلفة لبيّنها النبي صلى الله عليه وسلم ولسأل عنها عبد الله بن عمرو فدل ذلك أن الكيفية ليست مختلفة.

ولعل أقرب صيام إلى صيامنا في الوقت الحالي هو صيام اليهود، فهم يصومون عن الطعام والشراب وشهوات الفرج من غروب الشمس إلى غروب شمس اليوم الثاني.

أما وجبة السحور فهذا واضح من قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إنا معشر الأنبياء أمرنا بتعجيل فطرنا، وتأخير سحورنا». (١٤)

وربما يعتقد البعض أن هذا مخالف لقوله صلى الله عليه وسلم الذي يرويه عمرو بن العاص رضي الله عنه: «فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السَحَرْ». (١٥)

فهذا مما غيروه في دين الله تعالى ﴿...وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

ووقت السحر له الفوائد الكثيرة، خاصة أنه وقت يتنزل فيه الرحمن فيجيب عبيده الذين شغلهم ذكره عن النوم، وهو تنشيط للاستيقاظ على صلاة الفجر، ولذكره سبحانه في وقت يغفل فيه الكثير من الناس.

السنة النبوية المطهرة:

جاءت الأحاديث النبوية الشريفة تتحدث عن صيام الأمم السابقة، ونجد الحديث فيها عن صيام الفريضة وصيام النافلة وصيام الشكر لله على نعمة معينه، ولا يستبعد أن يكون هناك صوم واجب كصيام النذر نظراً لوجود النذر عند السابقين كما سيأتي.

وقد سبق الحديث عن صيام الفريضة في حديث يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام، وكذلك صيام النافلة مثل صيام داود عليه الصلاة والسلام وهو أعدل الصيام كما أخبر بذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم.

صيام عاشوراء:

وصيام عاشوراء كان معروفاً عند العرب في الجاهلية، فعن عائشة رضي الله

http://kotob.has.it

عنها قالت: «كانت قريش تصوم عاشوراء في الجاهلية، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه، فلما هاجر إلى المدينة صامه، وأمر المسلمين بصيامه، فلما فرض شهر رمضان قال: من شاء صامه ومن شاء تركه». (١٦)

كذلك كانت اليهود تصومه في عصر النبي صلى الله عليه وسلم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسؤلوا عن ذلك، فقالوا هذا اليوم أظهر الله فيه موسى وبني إسرائيل على فرعون فنحن نصومه تعظيماً له، فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحن أولى بموسى منكم فأمر بصومه». (١٧)

قلت: فصوم اليهود سببه واضح وهو نجاة موسى عليه الصلاة والسلام ومن معه من بني إسرائيل من فرعون وجنده، فصامه موسى عليه السلام وقومه شكراً لله عز وجل. أما صوم العرب له فهو على الأغلب مما بقي من ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وقال ولي الله الدهلوي (وسر مشروعيته أنه وقت نصر الله تعالى موسى عليه السلام على فرعون وقومه، وشكر موسى بصوم ذلك اليوم، وصار سنة بين أهل الكتاب والعرب، فأقره رسول الله صلى الله عليه وسلم). (١٨)

وأهل الإيمان يفرحون بنجاة المؤمنين وهلاك الظالمين على اختلاف أحسابهم وأنسابهم، فالمؤمنون إخوة كما وصفهم جلت قدرته.

http://kotob.has.it

الهوامش

(١) البخاري مع الفتح ج٤: ١١١ ح [١٨٩٦]، ومسلم مع الشرح ج٨: ٣٢ ح [١١٦].

(٢) موسوعة فقه الطبري وحماد صفحة ١٠٠، الموسوعة الفقهية ج٢٨: ٧.

(٣) تفسير ابن كثير ج١: ٢٠٢.

(٤) التفسير الكبير للرازي ج٢: ٢٤٠، والقرطبي ج٢: ٢٨٤.

(٥) تفسير ابن كثير ج١: ٢٠٢.

(٦) أخرجه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط، وقد اختلف في هذا الحديث من حيث القبول أو الرد، فقد حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ج٤: ١٠٤ ح [١٥٧٥]، والعلي صفحة ٥٦ ح [٧٣]، وضعفه الأرناؤوط فقال: (حديث ضعيف تفرد به عمران القطان وهو ممن لا يحتمل تفرده، وقد ضعفه أبو داود والنسائي والعقيلي وابن معين)، المسند ج٢٨: ١٩١ح [١٦٩٨٤]، وقال ابن حجر في التقريب ج٢: ٨٣: (عمران القطان ... صدوق يهم) قلت: والأرجح هو التضعيف والله أعلم.

(٧) حديث ضعيف، ضعفه ابن حجر وغيره لوجود رجل مجهول في الإسناد. فتح الباري ج٨: ١٧٨.

(٨) تفسير الكشاف ج١: ٢٢٥.

(٩) بستان الواعظين لأبي الفرج بن الجوزي صفحة ٢٣٣.

(١٠) فتح الباري ج٨: ١٧٨، ومن الذين ذهبوا إلى هذا القول الإمام الرازي ج١: ٢٣٩.

(١١) جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري ج٢: ١٢٩-١٣٠.

(١٢) سبق تخريجه صفحة ٦٦، وقارن هذا الحديث مع قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي الذي يرويه عن ربه عز وجل: «قال الله تعالى كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جُنّه، فإذا كان صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ولا يجهل، فإن

http://kotob.has.it

سابه أحد أو شاتمه فليقل إني صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه». البخاري مع الفتح ج٤: ١٠٣ ح [١٨٩٤]، ومسلم مع الشرح ج٨: ٣٠-٣١.

(١٣) سبق تخريجه صفحة ٦٧.

(١٤) سبق تخريجه صفحة ٨٤.

(١٥) مسلم مع الشرح ج٧: ٢٠٧ ح [٤٦]، قال النووي (معناه الفارق والمميز بين صيامنا وصيامهم أكلة السحور فإنهم لا يتسحرون ونحن يستحب لنا السحور).

(١٦) البخاري مع الفتح ج٤: ١٠٢ ح [١٨٩٣]، ومسلم مع الشرح ج٨: ٤-٥.

(١٧) البخاري مع الفتح ج٦: ٤٢٩ ح [٣٣٩٧]، ومسلم مع الشرح ج٨: ٩.

(١٨) حجة الله البالغة ج٢: ٥٥.

http://kotob.has.it

الزكاة

عن أبي واقد قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى قال: إنما أنزل المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة. ولو كان لابن أدم واد لأحب أن يكون له ثان، ولو كان له واديان لأحب أن يكون له ثالث، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ثم يتوب الله على من تاب».

أخرجه أحمد والطبراني في الكبير، وصححه الألباني، صحيح الجامع ج١: ٣٦٦ح [١٧٨١].

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الزكاة والصدقة

الزكاة ركن أساسي من أركان الإسلام الخمسة. وهي ركن مالي اجتماعي، جاءت مقرونة بالصلاة في أغلب الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، لتدل على مدى الارتباط الوثيق فيما بينهما. وإن من يحافظ على صلاته ليؤدي حق ربه، عليه أن يكون صادقاً فيؤدي حقوق المحتاجين والمساكين.

والزكاة لغة: البركة والنماء والطهارة والصلاح.

أما شرعاً فهي دفع جزءٍ مقدر من ماله مقروناً بالنية ليصرف في مصارف مخصوصة. (١)

أما الصدقة فهي تمليك غير الفرض لمحتاج في الحياة بغير عوض بنية القربى. (٢)

وتطلق الصدقة في عرف الناس على التطوع وما تجود به النفس على مثل المتسولين والشحاذين لكن معناها المأخوذ من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة أوسع من ذلك وأشمل. (٣)

وينبه الدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله على نقطة مهمة وهي (أن الزكاة الشرعية قد تسمى بلغة القرآن والسنة صدقة حتى قال الماوردي: الصدقة زكاة، والزكاة صدقة، يفترق الاسم ويتفق). (٤)

عناية الأديان السماوية:

يقول الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه فقه الزكاة تحت هذا العنوان: (إن

http://kotob.has.it

الأديان السماوية كانت دعوتها إلى البر بالفقراء والضعفاء أجهر صوتاً وأعمق أثراً من كل فلسفة بشرية أو ديانة وضعية أو شريعة أرضية، ولا أحسب دعوة نبي من الأنبياء خلت من الجانب الإنساني الذي سماه القرآن «الزكاة»، ويضيف: (ونحن إذا رجعنا إلى القرآن الكريم – وهو أصح وثيقة بقيت للبشر – وجدناه يتحدث عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب فيقول: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣]). (٥)

الآيات الكريمة الواردة في الزكاة والصدقة:

لقد جاء الحديث عن الزكاة في كتاب الله تعالى عند الأمم المسلمة السابقة بالمعنى اللغوي والمعنى الشرعي. أما اللغوي فقد جاء في قوله تعالى عن سيدنا يحيي عليه السلام: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٣]، زكاة أي بركة أو طهارة من الذنوب. (٦)

وفي قصة موسى مع الخضر عليهما السلام مع الغلام: ﴿...قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ...﴾ [الكهف: ٧٤].

وكان جواب الخضر: ﴿فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف: ٨١].

زكاة: أي طهارة من السوء أو ديناً وصلاحاً. (٧)

المعنى الشرعي:

مضى الحديث عن الزكاة في رسالة جملة من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي تحدثت عن وجوب الصلاة، (٨) وقد كان الاقتران ما بين الصلاة والزكاة في أغلب الآيات الكريمة.

ومن الأدلة السابقة قوله عز وجل عن رسالة إبراهيم وإسحاق ويعقوب ولوط عليهم الصلاة والسلام ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

وقد بين عز وجل أن الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة تكون لمن يتقون

http://kotob.has.it

ويؤتون الزكاة ويؤمنون بآيات الله عز وجل. فقد قال عز وجل معقباً على دعاء سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

الزكاة في السنة النبوية:

تحدثت السنة النبوية عن الزكاة ففي حديث يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام: «وآمركم بالصدقة فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فشدوا يده إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه، فقال هل لكم أن أفتدي نفسي منكم، فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فك نفسه». (٩)

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تزول قدما ابن آدم من عند ربه حتى يسأل عن خمس، عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه فيما فعل فيه». (١٠)

فكل ابن آدم سوف يسأل عن الحقوق التي أوجبها الله سبحانه للفقراء والمستحقين في أموال الأغنياء يوم القيامة.

ما أعده الله عز وجل للمزكين والمتصدقين:

للزكاة فوائد كثيرة فهي تصون المال وتحصنه من تطلع الأعين وامتداد أيدي الآثمين والمجرمين، وهي عون للفقراء والمحتاجين، وتطهر النفس من داء الشح والبخل، وتعوّد المؤمن على البذل والسخاء. وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الشح، فعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم». (١١)

وقد وجبت الزكاة شكراً لنعمة المال الذي وهبه الله عز وجل لعباده، وهي

http://kotob.has.it

لا تتعلق بقضية أفراد يعطون أو يأخذون بل بقضية مجتمع متماسك متراص لا يوجد فيه طبقية، وهي أخيراً قضية بشرية إنسانية تحدثنا عن منّ الله عز وجل على بعض عباده وتفضيله بعضهم على بعض في الرزق. قال تعالى: ﴿وَاللّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاء أَفَبِنِعْمَةِ اللّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [النحل: ٧١]، أي أن الله تعالى فضل بعضنا على بعض في الرزق، وأوجب على الغني أن يعطي الفقير حقاً وواجباً مفروضاً لا تطوعاً ولا منة.

وامتدح الله عز وجل من ينفق أمواله في سبيل الخير، ويؤدي زكاة أمواله كثيراً في كتابه الكريم وعلى لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

فقال تعالى في وصف عباده المتقين: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٧-١٩].

وقد أجزل عز وجل العطية للمنفقين أضعافاً كثيرة فقال عز وجل: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ...﴾ [التوبة: ١١١]. فالزكاة باب للإنفاق في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى ونشر الحق على الأرض، وهي من المكانة بحيث جمعها عز وجل مع النفوس التي يبخل أن يضحي بها الكثير من الناس حتى لو كان في سبيل إعلاء كلمة الحق.

أما السنة النبوية فقد وردت فيها أحاديث كثيرة نذكر بعضها:

أولاً: قول النبي صلى الله عليه وسلم: «سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله... . ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه». (١٢)

ثانياً: وفي صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

http://kotob.has.it

«بينما رجل يمشي بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة: إسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته، فقال له: يا عبد الله ! ما اسمك ؟ قال فلان للاسم الذي سمع في السحابة، فقال له: يا عبد الله! لم تسألني عن اسمي؟ فقال إني سمعت صوتاً في السحابة الذي هذا ماؤه يقول: إسق حديقة فلان لاسمك فماذا تصنع فيها؟ فقال: أما إذ قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه وآكل أنا وعيالي ثلثاً وأرد فيها ثلثه». (١٣)

عقاب مانع الزكاة:

توعد الله عز وجل مانع الزكاة بعقاب شديد في الآخرة، وعقاب في الدنيا ليكون فيها عبرة لغيره، وقد ضرب الله عز وجل لنا أمثلة من العذاب الدنيوي والأخروي للأمم السابقة التي منعت الزكاة.

أما ما أعده الله سبحانه في الآخرة فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥].

وعن زيد بن وهب، قال: (مررت على أبي ذر بالربذة فقلت: «ما أنزلك بهذه الأرض؟ قال: كنا بالشام، فقرأت ﴿...وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]، قال معاوية: ما هذه فينا، ما هذه إلا في أهل الكتاب، قال قلت: إنها لفينا وفيهم). (١٤)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته، مُثّل له ماله شجاعاً أقرع، له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، يأخذ بلهزمتيه – يعني شدقيه – يقول أنا مالك أنا كنزك، ثم تلا ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ

http://kotob.has.it

هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠]» (١٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها، (١٦) إلا إذا كان يوم القيامة صُفّحت له صحائف من نار فأحمي عليها من نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبهته وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار.

قيل يا رسول الله فالإبل، قال: ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها ومن حقها حلبها يوم وردها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلاً واحداً تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أولاها، رد عليه آخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار.

قيل يا رسول الله فالبقر والغنم؟ قال: ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئاً ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا غضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما مر عليه أولاها رد عليه آخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار.

قيل يا رسول الله فالخيل؟ قال: الخيل ثلاثة: هي لرجل وزر وهي لرجل ستر وهي لرجل أجر». (١٧)

العقاب الدنيوي:

فقد حذرنا الرسول صلى الله عليه وسلم من الركون إلى الدينار والدرهم، فعن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أن هذه الدينار والدراهم أهلكا من كان قبلكم وهما مهلكاكم». (١٨)

وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن احتباس المطر عن الأمم والإصابة بالسنين، إنما هو نتيجة عدم إخراج الزكاة إلى الفقراء والمساكين.

فعن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

http://kotob.has.it

«ما منع قوم الزكاة إلا ابتلاهم الله بالسنين». وقد رواه الطبراني في الأوسط، أما لفظ رواية الحاكم والبيهقي «ولا منع قوم الزكاة إلا حبس الله عنهم القطر». (١٩)

وقد ضرب لنا القرآن الكريم عدداً من النماذج في عقاب مانعي الزكاة في الدنيا.

فمنهم قارون الذي آتاه الله عز وجل كنوزاً وأموالاً كثيرة، لكنه بخل وتكبر وتجبر، فكان عاقبته أن خسف الله به وبداره فكان عبرة لغيره. (٢٠)

ومنهم أصحاب الجنة، في سورة القلم، الذي أسروا فيما بينهم ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾ [القلم: ٢٤]، فماذا كانت النتيجة ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ [القلم: ١٩-٢٠].

ومنهم صاحب الجنة، في سورة الكهف، الذي ظلم نفسه ومنع حق غيره ونسي نعمة الله عز وجل فكانت النتيجة ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٢].

الاخلاص في أداء الزكاة:

الإخلاص ركن أساسي في كل الأمور فلا يُقبل عمل دون أن تكون فيه النية خالصة لوجه الله تعالى، وهي واجبة في الزكاة، فقد قال عز وجل: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

ولا أدل على الإخلاص إلا ما ورد في حديث السبعة الذين يظلهم الله سبحانه بظله يوم لا ظل إلا ظله «حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه».

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم إن من الذين تسعر بهم النار يوم القيامة مقاتل وعالم ومنفق يبتغون إرضاء الناس. (٢١)

ميراث الأنبياء صدقة:

فالأنبياء لا يُورثون وكل ما تركوه في الدنيا من الأموال صدقة للفقراء

http://kotob.has.it

والمساكين، فهم صلى الله عليهم وسلم منزهون عن أمور الدنيا، وهم أسمى من هموم الدنيا الفانية وملذاتها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنا معشر الأنبياء لا نُوَرث، ما تركت بعد مؤنة عاملي، ونفقة نسائي صدقة».(٢٢)

من خلال الأدلة السابقة يتبين أن الأموال التي تجب فيها الزكاة هي الذهب والفضة والأنعام (الإبل والبقر والغنم)، إضافة إلى زكاة الزروع والثمار. أما المقدار الواجب وكيفية إخراج الزكاة ومصارفها فلم أجد آية كريمة أو حديثاً صحيحاً - حسب علمي - في ذلك، فما هو موجود لا يصلح أن يكون دليلاً، وبعضها بدون إسناد يذكر، فقد تكون الزكاة التي فرضت على الأمم المسلمة السابقة مشابهة للزكاة التي فرضت علينا، وقد يكون فيها بعض التفاصيل المختلفة والله أعلم.

على إنني أحب أن أنبه إلى خطأ يقع فيه بعض الكتاب عندما يقارنون الزكاة في القرآن الكريم والسنة المطهرة بما جاء في التوراة والإنجيل وغيرها، ويقولون أنها سمت على ما هو موجود في الأديان أو الشرائع السابقة، وإن ما جاء في التوراة والإنجيل إنما هو - في الأغلب - أشبه بالمواعظ دون تحديد مقدار أو نصاب أو كيفية. فنحن لا نستطيع أن نحكم على ما كان عند الشرائع السابقة بما ورد في التوراة والإنجيل لما طرأ عليهما من تحريف وتبديل، والمسلم على يقين أن عدل الله عز وجل قد طال الغني والفقير على السواء في كل العصور، قال الله تعالى: ﴿... وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

http://kotob.has.it

الهوامش

(١) موسوعة فقه الطبري وحماد صفحة ٨٢، المفردات ٣١٨.

(٢) موسوعة فقه الطبري وحماد صفحة ٩٤، المفردات ٤٨٠-٤٨١.

(٣) أنظر على سبيل المثال قول النبي صلى الله عليه وسلم «كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الإثنين صدقة، وتعين الرجل على دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة»، البخاري مع الفتح ج٦: ٨٥ح [٢٨٩١]، ومسلم ج٧: ٩١-٩٢ ح [٦٥].

(٤) فقه الزكاة، الدكتور. يوسف القرضاوي ج١: ٤٠ قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا...﴾ [التوبة: ١٠٣]، والمراد بالصدقة في الآية الكريمة الزكاة.

(٥) فقه الزكاة ج١: ٤٨.

(٦) كلمات القرآن الكريم، حسنين محمد مخلوف صفحة ١٦٠.

(٧) المرجع السابق صفحة ١٥٨.

(٨) ارجع صفحة ٥٩-٦٢.

(٩) سبق تخريجه صفحة ٦٦، وقلت إن المقصود هنا الزكاة رغم ورود لفظ الصدقة لأنهما يأتيان كل منهما مكان الآخر كما سبق، وفي حديث معاذ عندما أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن لدعوتهم إلى الإسلام وتعريفهم بأركانه «أعلمهم أن الله افترض عليهم في أموالهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم»، البخاري مع الفتح ج٨: ٦٤ ح [٤٣٤٧]، ومسلم مع الشرح ج١: ١٩٦-١٩٧ح [٢٧]. وقد ذكر في بداية الحديث - أي حديث يحيى وزكريا - الشهادتين والصلاة والصوم فالصدقة هنا بمعنى الزكاة والله أعلم.

(١٠) أخرجه الترمذي والطبراني في الكبير والصغير، وصححه الألباني، السلسلة

http://kotob.has.it

الصحيحة ج٢: ٦٦٦ ح [٩٤٦].

(١١) مسلم مع الشرح ج١٦: ١٣٤ ح [٥٦].

(١٢) سبق تخريجه صفحة ١٢٧.

(١٣) مسلم مع الشرح ج١٨: ١١٤-١١٥ ح [٤٥].

(١٤) البخاري مع الفتح ج٨: ٣٢٢-٣٢٣ ح [٤٦٦٠].

(١٥) البخاري مع الفتح ج٨: ٢٣٠ح [٤٥٦٥].

(١٦) أي زكاتها.

(١٧) مسلم مع الشرح ج٧: ٦٤-٦٥ ح [٢٤]، وقوله «الخيل ثلاثة...» في البخاري مع الفتح ج٦: ٦٣-٦٤ ح [٢٨٦٠].

(١٨) رواه أبو محمد بن شيبان في (الفوائد)، والطبراني في الكبير، وصححه الألباني، السلسلة الصحيحة ج٤: ٢٧٨ ح [١٧٠٣].

(١٩) صحيح الترغيب والترهيب ج١: ٣٢٠ ح [٧٦١].

(٢٠) سورة القصص ٧٦ - ٨٢.

(٢١) مسلم مع الشرح ج١٣: ٥٠-٥١.

(٢٢) أخرجه أحمد، وصححه الأرناؤوط المسند ج٤٧١٦ ح [٩٩٧٢]، وللحديث شاهد في الصحيحين «لا يقتسم ورثتي ديناراً ما تركت....»، البخاري مع الفتح ج٦: ٢٠٩ ح [٣٠٩٦]، ومسلم مع الشرح ج١٢: ٨١.

http://kotob.has.it

الحج والعمرة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«كونوا على مشاعركم فإنكم على إرث من إرث أبيكم إبراهيم».

أبو داوود والترمذي وأبن ماجة، صحيح سنن الترمذي ج١: ٢٦٢ ح [٧٠٠].

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الحج والعمرة

قال تعالى: ﴿...وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

والحج في اللغة: القصد مطلقاً.

وعرّفه فقهاء الإسلام بأنه: أداء أعمال مخصوصة في حرم مكة وما حولها في أوقات مخصوصة. (١)

أما العمرة لغة: فهي الزيارة.

وشرعاً: هي زيارة بيت الله الحرام بإحرام وطواف وسعي... إلخ. (٢)

والحج من العبادات العظيمة، فبه تكفّر الذنوب الصغائر والكبائر، ويطهر النفس من شوائب المعاصي. وهو يربط الحجاج بتاريخ أنبياء الله عز وجل الذين قدموا ليعمروا هذا البيت، ويبقى في آذانهم نداء إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام، وسعي هاجر أم إسماعيل رضي الله عنهما. وهو مناسبة يتم فيها التعارف بين أبناء الأمم على اختلاف ألوانها وأجناسها لتتوحد تحت راية العقيدة الصحيحة، إضافة إلى المنافع الاقتصادية، قال الله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ...﴾ [الحج: ٢٨].

من بنى الكعبة المشرفة؟

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦].

قبل الحديث عن حج الأمم المسلمة السابقة لا بد من الحديث حول

http://kotob.has.it

سؤال يثيره البعض وهو من الذي بنى الكعبة المشرفة.

يقول الإمام القرطبي رحمه الله: (وقد روي أن أول من بنى البيت آدم عليه السلام... وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أمر الله تعالى الملائكة ببناء بيت في الأرض، وأن يطوفوا به وكان هذا قبل خلق آدم، ثم أن آدم بنى منه ما بنى وطاف به، ثم الأنبياء بعده، ثم استتم بنائه إبراهيم عليه السلام). (٣)

وسواء كان بناء البيت مرتبطاً بنبي الله آدم أم بالملائكة عليهم السلام، (٤) فالذي يثبت من الروايات أن البيت العتيق موجود على وجه الأرض منذ زمن بعيد، وكذا المسجد الأقصى. ففي الحديث الشريف عن أبي ذر رضي الله عنه قال: «قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أولاً؟ قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما ؟ قال: أربعون سنة، وأينما أدركتك الصلاة فصلّ فهو مسجد». (٥)

رفع قواعد البيت والنداء بالحج:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل، اتخذت منطقاً لتعفي أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل – وهي ترضعه – حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء فوضعها هنالك، ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم قفى إبراهيم منطلقاً، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء، فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها. فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذن لا يضيعنا. ثم رجعت. فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ... يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]. وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى – أو قال يتلبط – فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً، فلم تر أحدا، فهبطت من

http://kotob.has.it

الصفا، حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها، ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحداً، فلم تر أحداً، ففعلت ذلك سبع مرات. قال ابن عباس: قال النبي صلى الله عليه وسلم: فذلك سعي الناس بينهما. فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت: صه - تريد نفسها - ثم تسمعت أيضاً فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه - أو قال بجناحه - حتى ظهر الماء، فجعلت تحوضه وتقول بيده هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعدما تغرف. قال ابن عباس: قال النبي صلى الله عليه وسلم: يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم - أو قال: لو لم تغرف من الماء - لكانت زمزم عيناً معيناً. قال: فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة، فإن هاهنا بيت الله يبني هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله. وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية، تأتيه السيول، فتأخذ عن يمينه وشماله، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم - أو أهل بيت من جرهم - مقبلين من طريق كداء، فنزلوا أسفل مكة... ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نبلاً له تحت دوحة قريباً من زمزم، فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد. ثم قال: يا إسماعيل، إن الله أمرني بأمر. قال: فاصنع ما أمرك ربك. قال: وتُعينني؟ قال: وأُعينك. قال: فان الله أمرني أن أبني هاهنا بيتاً - وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها - قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني. حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له، فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿...رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧] قال: فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان: ﴿...رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾». (٦)

وقد سطر كتاب الله سبحانه هذه الحادثة فقال عز وجل ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ

http://kotob.has.it

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧-١٢٩].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال «قام إبراهيم على الحجر فقال: يا أيها الناس كتب عليكم الحج، فأسمع من أصلاب الرجال وأرحام النساء، فأجابه من آمن، ومن كان في سبق في علم الله أنه يحج إلى يوم القيامة: لبيك اللهم لبيك». (٧)

الحج في القرآن الكريم:

ارتبط ذكر الحج في القرآن الكريم بأبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهو الذي شرفه الله عز وجل وكرمه برفع القواعد من البيت العتيق هو وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام بعد نجاحهما في البلاء المبين.

قال تعالى مخاطباً سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ (٨) عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٦-٢٨].

وأمر الله عز وجل المسلمين والمؤمنين أن يسنوا بالحج سنة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥].

الحج في السنة الشريفة:

لقد تواترت الأخبار والأحاديث عن الحج عند العرب في الجاهلية، والذي هو من بقايا الدين الحنيف الذي بعث به إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، إلا إنهم حرّفوا وبدلوا في هذا الركن، فنجد البعض من غير قريش يطوفون عراة بالبيت، ونجد الأصنام والتي حطمها إبراهيم عليه السلام عند الكعبة المشرفة وعند الصفا والمروة، ونجد صورة لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وفي أيديهما الأصنام داخل الكعبة.

http://kotob.has.it

قال الدهلوي (ومنها أن أهل الجاهلية كانوا يحجون، وكان الحج أصل دينهم، ولكنهم خلطوا أعمالاً ما هي مأثورة عن إبراهيم عليه السلام، وإنما هي اختلاق منهم، وفيها إشراك لغير الله كتعظيم آساف ونائلة، وكالإهلال لمناة الطاغية، وكقولهم في التلبية: لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك). (٩)

حج موسى ويونس عليهما الصلاة والسلام:

ورد في السنة النبوية ذكر أداء بعض الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام للحج، منهم موسى ويونس عليهما السلام، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بوادي الأزرق فقال: أي وادٍ هذا؟ قالوا وادي الأزرق، قال: «كأني أنظر إلى موسى عليه السلام وهو هابط من الثّنيّة وله جُؤَار إلى الله بالتلبية، ثم أتى على ثّنيّة هرشى فقال: أي ثّنيّة هذه؟ قالوا ثّنيّة هرشى، قال: «كأني أنظر إلى يونس بن متى عليه السلام على ناقة حمراء جعدة عليه جبة من صوف، خطام ناقته خلبة وهو يلبي». (١٠)

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كأني أنظر إلى موسى في هذا الوادي محرماً بين قطوانتين». (١١)

حج عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام:

وورد في الأحاديث أداء نبي الله عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام للحج والعمرة، والقِران بينهما، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يوماً بين ظهراني الناس المسيح الدجال، فقال: «... وأراني الليلة عند الكعبة في المنام، فإذا رجل آدم كأحسن ما يرى من آدم الرجال، تضرب لِمّتُه بين منكبيه، رجل الشعر يقطر رأسه ماء، واضعاً يديه على منكبي رجلين يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ قالوا هذا المسيح بن مريم». (١٢)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسي بيده ليهلن ابن مريم بفج الروحاء حاجاً أو معتمراً أو ليثنينهما»، (١٣) وهذا يكون بعد نزوله عليه السلام في آخر الزمان.

http://kotob.has.it

حج جماعة من الأنبياء عليهم السلام:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «صلى في مسجد الخيف سبعون نبياً، منهم موسى صلى الله عليه وسلم، كأني أنظر إليه وعليه عباءتان قطوانيتان وهو محرم على بعير من أزد شنوءة مخطوم بخطام ليف له ضفيرتان». (١٤)

وقفة عرفة:

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعاً «أفضل ما قلت أنا والنبيون عشية عرفة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير». (١٥)

العمرة:

أما العمرة فقد كانت معروفة عند العرب، لكنهم كانوا ينكرون على من اعتمر في أشهر الحج، وهذا مما غيروه في دين إبراهيم عليه السلام. فعن ابن عباس رضي الله عنهما «قال كانوا يرون (١٦) العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور في الأرض، ويجعلون المحرم صفرا، ويقولون: إذا برأ الدبر وعفى الأثر وانسلخ صفر فقد حلت العمرة لمن اعتمر. فقدم النبي صلى الله عليه وسلم صبيحة رابعة مهللين بالحج، فأمرهم أن يجعلوها عمرة، فتعاظم ذلك عندهم فقالوا: يا رسول الله أي الحل؟ قال: الحل كله». (١٧)

هل فرض الحج على بني إسرائيل؟

من خلال النصوص الكثيرة المتوافرة لدينا سواء الصحيح منها أو الضعيف فإننا لا بد أن نجد شيئاً ملاحظاً، وهو أن بني إسرائيل لم يكن قد فرض عليهم الحج وإنما كان عندهم تطوعاً، بل إن ابن تيمية رحمه الله قد ذهب إلى أن الحج لم يكن واجباً على الأمم المسلمة السابقة وإن الحج كان نافلةً وتطوعاً.

قال ابن تيمية رحمه الله عند حديثه عن المساجد الثلاثة: (والمساجد

http://kotob.has.it

الثلاثة لها فضل على ما سواها فإنها بناها الأنبياء ودعوا الناس إلى السفر إليها، فالخليل دعا إلى المسجد الحرام، وسليمان دعا إلى بيت المقدس، ونبينا دعا إلى الثلاثة: إلى مسجده والمسجدين. ولكن جعل السفر إلى المسجد الحرام فرضاً والآخرين تطوعاً، وإبراهيم وسليمان لم يوجبا شيئاً ولا أوجب الخليل الحج، ولهذا لم يكن بنو إسرائيل يحجون ولكن حج موسى ويونس وغيرهما). (١٨)

ما يلتحق بالحج

أولاً: الأشهر الحرم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

عن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات. ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب شهر مضر الذي بين جمادى وشعبان، ثم قال: أي شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس ذا الحجة! قلنا: بلى، قال: فأي بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس البلدة؟ قلنا: بلى، قال: فأي يوم هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى، يا رسول الله، قال: فإن دماءكم وأموالكم، قال محمد وأحسبه قال وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، فلا ترجعن بعدي كفاراً أو ضلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلغ الشاهد الغائب فلعل بعض من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه. ثم قال: ألا هل بلغت؟». (١٩)

http://kotob.has.it

ثانياً: تحريم مكة:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٩١].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ولم يحل لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يتخلى خلالها». (٢٠)

ثالثاً: الأضحية:

وهي في اللغة اسم لما يضحى به أو لما يذبح أيام عيد الأضحى.

وفي شرعنا هي ما يذبح من الأنعام حيوان مخصوص القربى في وقت مخصوص أو هي ما يذبح من الأنعام أيام النحر في غير الحرم، مع النية إقامة للسنة. (٢١)

والأضحية هي رمز للتضحية العظيمة التي قام بها سيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام عندما أمر بذبح إسماعيل عليه الصلاة والسلام وفداه الله بكبش عظيم.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٢-١٠٧].

قال صاحب الظلال: (ومضت بذلك سنة النحر في الأضحى، ذكرى لهذا الحادث العظيم الذي يرتفع منارة لحقيقة الإيمان وجمال الطاعة، وعظمة التسليم، والذي ترجع إليه الأمة المسلمة لتعرف فيه حقيقة أبيها إبراهيم والذي تتبع ملته، والذي ترث نسبه وعقيدته، وتدرك طبيعة العقيدة التي تقوم بها أو تقوم عليها). (٢٢)

http://kotob.has.it

التضحية بالأنعام: قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤].

رابعاً العيد:

العيد هو تكرار الاحتفال بذكرى سارة في وقت معين. (٢٣)

قال تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾. [المائدة: ١١٤].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعاث، قالت: وليستا بمغنيتين، فقال أبو بكر: أمزامير الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك يوم عيد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا بكر إن لكل قوم عيد وهذا عيدنا». (٢٤)

http://kotob.has.it

الهوامش

(١) موسوعة فقه الطبري وحماد صفحة ٩٨، والمفردات ٢١٨.

(٢) موسوعة فقه الطبري وحماد صفحة ٢٠٨.

(٣) القرطبي ج٤: ١٣٨، فتح الباري ج٦: ٤٠٦-٤٠٧.

(٤) قال ابن كثير في تفسيره ج١: ١٦٤: (وغالب من يأخذ هذا إما يأخذه من كتب أهل الكتاب وهي مما لا يصدق ولا يكذب ولا يعتمد عليها بمجردها، وأما إذا صح حديث في ذلك فعلى الرأس والعين).

(٥) سبق تخريجه صفحة ١٢٤.

(٦) البخاري مع الفتح ج٦: ٣٩٦-٣٩٨ ح [٣٣٦٤].

(٧) أخرجه الحاكم، وصححه، والبيهقي في الدلائل، وصححه ابن حجر، فتح الباري ج٦: ٤٠٦، والعلي صفحة ٧٦ ح [١٠٧].

(٨) قال ابن عباس: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ أيام العشر. وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما العمل في أيام أفضل منه في هذه، قالوا: ولا الجهاد؟ قال: ولا الجهاد إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء»، البخاري مع الفتح ج٢: ٤٥٧ ح [٩٦٩].

(٩) حجة الله البالغة ج٢: ٥٦.

(١٠) مسلم مع الشرح ج٢: ٢٢٨-٢٢٩ ح [٤٢١]، وفي رواية «كأني أنظر إلى يونس على ناقة خطامها من ليف، وعليه جبة من صوف وهو يقول لبيك اللهم لبيك»، أخرجه الحاكم وأحمد، وحسنه الألباني، صحيح الجامع ج٢: ٨٢٥ ح [٤٤٧٠].

(١١) أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط، وأبو يعلى، وصححه الألباني، السلسلة الصحيحة ج٥: ٣٥ ح [٢٠٢٣].

http://kotob.has.it

(١٢) البخاري مع الفتح ج٦: ٤٧٧ ح [٣٤٤٠]، ومسلم مع الشرح ج٢: ٢٣٣، ومعلوم أن رؤيا الأنبياء حق.

(١٣) مسلم مع الشرح ج٨: ٢٣٤.

(١٤) أخرجه الطبراني، وحسنه الألباني، السلسلة الصحيحة ج٥: ٣٥ ح [٢٠٢٣].

(١٥) أخرجه الطبراني (فضل عشر ذي الحجة)، وصححه الألباني، السلسلة الصحيحة ج٤: ٦-٧ ح [١٥٠٣].

(١٦) أي قريش وأهل الجاهلية.

(١٧) البخاري مع الفتح ج٣: ٤٢٢ ح [١٥٦٤]، ومسلم مع الشرح ج٨: ٢٢٥ ح [٢١٧٨]، واللفظ له.

(١٨) مجموع الفتاوى ج٢٧: ١٤٣-١٤٤.

(١٩) البخاري مع الفتح ج٨: ١٠٨ ح [٤٤٠٦]، ومسلم مع الشرح ج١١: ١٦٧-١٧٠.

(٢٠) فتح الباري ج٨: ٢٠ ح [٤٢٩٥]، ومسلم مع الشرح ج٩: ١٢٣-١٢٦ ح [٤٥].

(٢١) موسوعة فقه ابن تيمية، الدكتور محمد قلعة جي ج١: ٢٣٢.

(٢٢) في ظلال القرآن ج٧: ٦٦.

(٢٣) موسوعة فقه الطبري وحماد صفحة ٢٠٩.

(٢٤) البخاري مع الفتح ج٢: ٤٤٥ ح [٩٥٢]، ومسلم مع الشرح ج٦: ١٨٢-١٨٣ ح [١٧].

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الأيمان والنذور

قال تعالى: ﴿إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم﴾ [آل عمران: ٣٥]

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الأيمان والنذور

الأيمان جمع يمين ولها في اللغة ثلاثة معان. أولها: القوة، وثانيها: اليد، وثالثها: القسم والحلف.

وشرعاً: هو الحلف للحث على فعل أو المنع منه لتأكيد أمر أو نفيه (١).

سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام:

فقد توعد الهدهد لغيابه عن حضور الاجتماع، فأقسم بالله ليعذبنه عذاباً شديداً، أو ليقومن بذبحه ليكون عبرة للمتخلفين والمتساهلين في الأمور التي كلفوا بها. ثم إنه عليه الصلاة والسلام، تريث في الأمر والتمس لغياب الهدهد عذراً تأخر من أجله. قال تعالى حاكياً عنه: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٢٠-٢١].

الاستثناء في اليمين:

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قال سليمان بن داود نبي الله لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كلهن تأتي بغلام يقاتل في سبيل الله، فقال له صاحبه أو الملك: قل إن شاء الله، فلم يقل ونسي فلم تأت واحدة من نسائه إلا واحدة جاءت بشق غلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ولو قال إن شاء الله لم يحنث وكان دركاً له في حاجته». (٢)

http://kotob.has.it

إبراهيم عليه الصلاة والسلام:

وقد قال الله عز وجل عنه في مخاطبته لقومه: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٧–٥٨].

التورية في اليمين:

قال عز وجل في حديثه عن أبي الأنبياء إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ [الصافات: ٨٨–٩٠].

والسقيم هو المريض، والمقصود هنا التورية، فهو مريض ومهموم بسبب بعدهم عن شرع الله تعالى وليس مرضاً جسدياً.

ومن السنة الشريفة ما ورد في قصته مع سارة والجبار: «قال يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإن هذا سألني فأخبرته إنك أختي فلا تكذبيني». (٣)

ويعقب الدكتور محمد أبو فارس على الحديث فيقول: (فها هو إبراهيم عليه السلام يقول للجبار عن زوجته هي أخته، مع أنها ليست أخته حقيقة، وقد يقول قائل: أنها أخته في الدين، وإذا كان كذلك فقد ورى في كلامه، وما التورية إلا ذكر لفظ محتمل يفهم منه السامع خلاف ما يريد المتكلم). (٤)

الحنث في اليمين:

الوفاء باليمين من الأمور المستحبة إلا أن يقع ضرر للحالف أو لغيره، فعليه أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه، كما حصل لنبي الله أيوب عليه الصلاة والسلام.

قال تعالى آمراً أيوب عليه الصلاة والسلام: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤].

قال ابن كثير: (وهذه رخصة من الله تعالى لعبده ورسوله أيوب عليه الصلاة والسلام فيما كان حلفه ليضرب امرأته مائة سوط). (٥)

http://kotob.has.it

النـــذور:

النذر لغة: الوعد بخير أو شر قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ...﴾ [الأحقاف: ٢١].

وشرعاً: هو إيجاب فعل مشروع على النفس بالقول عند تحقيق مطلوب تعظيماً لله تعالى وشكراً. (٦)

النذر من الأمور التي كانت معروفة عند المسلمين السابقين، وقد تحدثت آيات الكتاب الكريم والسنة المطهرة عن وقوع النذر من الأنبياء عليهم السلام والصالحين من أتباعهم رضوان الله عليهم.

يعقوب عليه الصلاة والسلام:

والنذر منه عليه الصلاة والسلام بسبب مرضه مرضاً شديداً، فنذر لئن عافاه المولى سبحانه ليحرمن على نفسه أحب الطعام والشراب إليه، وهي لحوم الإبل وألبانها.

قال تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣].

«وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حضرت عصابة من اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي؟ فكان فيما سألوه: أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه قبل أن تنزل التوراة؟ قال: فأنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب عليه السلام مرض مرضاً شديداً فطال سقمه، فنذر لله نذراً لئن شفاه الله من سقمه ليحرمن أحب الشراب إليه وأحب الطعام إليه، فكان أحب الطعام إليه لحمان الإبل، وأحب الشراب إليه ألبانها. فقالوا: اللهم نعم». (٧)

امرأة عمران عليها السلام:

فقد جاء الحديث في القرآن الكريم عن نذر امرأة عمران، وهي أم مريم رضي الله عنهما، أن يكون وليدها خادماً للمسجد الأقصى. قال سبحانه: ﴿إِذْ قَالَتِ

http://kotob.has.it

امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٥-٣٦].

مريم بنت عمران عليها السلام:

نذرت مريم أم عيسى رضي الله عنها، وقد كان الأمر بالنذر منه سبحانه، ألا تكلم أو تناقش أحداً في هذا الموضوع. وأن تترك الأمر لله عز وجل لتتكلم آياته سبحانه الباهرات. قال عز وجل: ﴿...فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٦].

النذر عند العرب:

والنذر كان معروفاً عند العرب قبل مبعث نبي الهدى محمد صلى الله عليه وسلم، ومنهم من كان ينذر قرباناً لله تعالى، مثل الاعتكاف في المسجد الحرام، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن عمر قال يا رسول الله: «إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام قال: فأوف بنذرك». (٨)

وقد يكون النذر بنحر الأنعام، فعن ثابت بن الضحاك قال: نذر رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينحر إبلاً ببوانه (٩) فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني نذرت أن أنحر إبلاً ببوانه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قال لا. قال هل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قال لا. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم». (١٠)

قلت: وهذا من بقايا ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام لكن قد دخلها التحريف فقد كان البعض أو الأغلب ينذرون لأصنامهم وينحرون عندها.

http://kotob.has.it

الهوامش

(١) موسوعة فقه الطبري وحماد صفحة ١٥١، المفردات صفحة ٨٩٤.

(٢) البخاري مع الفتح ج٦: ٤٥٨ ح [٣٤٢٤]، ومسلم مع الشرح ج١١: ١١٩- ١٢١.

(٣) البخاري مع الفتح ج٦: ٣٨٨ ح [٣٣٥٨].

(٤) الإيمان والنذور، الدكتور محمد عبد القادر أبو فارس صفحة ٣٠.

(٥) قصص الأنبياء صفحة ٣١٨.

(٦) موسوعة فقه الطبري وحماد صفحة ٢٤٩، المفردات صفحة ٧٩٧.

(٧) أخرجه أحمد والطبراني في الكبير، والترمذي بلفظ قريب، وصححه الأرناؤوط، المسند ج٤: ٢٧٧-٢٧٨ ح [٢٤٧١]، والعلي صفحة ١٠٢ ح [١٤٧].

(٨) سبق تخريجه صفحة ١٣٢.

(٩) بوانه: اسم موضع (هضبة وراء ينبع قريبة من ساحل البحر)، معجم البلدان، ياقوت الحموي ج١: ٥٩٩.

(١٠) أخرجه أبو داود والبيهقي، وصححه الألباني، صحيح سنن أبي داود ج٢: ٦٣٧ ح [٢٨٣٤].

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال تعالى: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين ءامنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾ [البقرة: ٢١٤].

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ضرب لنا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أروع الأمثلة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع أقوامهم في دعوتهم إلى دين الله عز وجل، ونهيهم عن أفعالهم الرذيلة رغم تهديد تلك الأقوام لهم بالحرق أو النفي أو الرجم.

إن القارئ لكتاب الله العظيم ليرى صوراً جميلة لتضحيات الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم في سبيل نشر كلمة الحق. فها هم أصحاب القرية الذين أرسل الله إليهم رسولين ثم عززهم عز وجل بثالث، لكنهم أصروا على إنكارهم، فجاء من أهل تلك المدينة من يحذرهم قال تعالى: ﴿وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [يس: ٢٠-٢١].

قال صاحب الظلال (إن الذي يدعو مثل هذه الدعوة، وهو لا يطلب أجراً، ولا يبتغي مغنماً.. إنه لصادق. وإلا فما الذي يحمله على هذا العناء إن لم يكن يلبي تكليفاً من الله؟ ما الذي يدفعه إلى حملهم الدعوة؟ ومجابهة الناس بغير ما ألفوا من العقيدة؟ والتعرض لأذاهم وشرهم واستهزائهم وتنكيلهم، وهو لا يجني من ذلك كسباً، ولا يطلب أجراً)[1] ﴿وَمَا لِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَن بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلاَ يُنقِذُونِ إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [يس: ٢٢-٢٧].

﴿... يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ...﴾ تحمل من المعاني الجميلة التي لا يمكن للكلمات أن تعبر عنها مهما كانت منمقة، فالداعية لا يحمل الحقد في قلبه،

http://kotob.has.it

فهو كالطبيب قد يقسو على مرضاه أحياناً لكنه لا يريد إلا الخير لهم.

ولعل الحديث عما لقيه الأنبياء والمرسلون ومن سار على دربهم يأخذ الصفحات الطوال، فللقارئ العودة إلى الكتب التي تحدثت عن قصص القرآن الكريم، أو قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولذلك فإنني سأقتصر في الحديث عن بعض الأمور موجزاً في ذلك.

موسى والخضر عليهما السلام:

في قصة نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام مع الخضر وإنكاره عليه تكسير ألواح من السفينة ﴿...قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [الكهف: ٧١]، وإنكاره عليه قتل الغلام الصغير الذي كان يلعب مع رفاقه ﴿...قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ [الكهف: ٧٤]، دليل على أن المسلم يجب أن ينهى عن المنكر حتى ولو كان مع شخص أو أشخاص صالحين، وهذه سنة في الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له في أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره». (٢)

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً: «ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان، بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمر بالشر وتحض عليه، فالمعصوم من عصم الله تعالى». (٣)

عقوبة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الواجبات الضرورية في حق الفرد والمجتمع، فهي من الواجبات في حق الأفراد كل حسب درجة مسؤوليته وقدرته، وذلك لأنه لا يمكن أن تطبق الأحكام والشرائع وتستقيم الحياة دون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولذا فقد ذمّ سبحانه وتعالى الذين لا يأمرون بالمعروف، ولا ينهون عن المنكر من بني إسرائيل، واستحقوا اللعنة على لسان أنبيائهم. قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩].

http://kotob.has.it

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك. ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض». (٤)

عقوبة من أمر بمعروف أو نهى عن منكر ولم يوافق قوله فعله:

وهي من الأمور التي تبين الخلل الكبير في شخصية الداعية، لأن أفعاله يجب أن تطابق أقواله، في السر والعلن، حتى يجد الناس القدوة الصالحة لهم، فيسيروا على خطاهم، فلا يكون الداعية فتنة للناس. وقد عاتب عز وجل بني إسرائيل في مخالفتهم لما يعظون به الناس فقال سبحانه: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

وقال عز وجل على لسان شعيب عليه السلام مخاطباً قومه: ﴿...وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ...﴾ [هود: ٨٨].

قال ابن كثير (وهذه صفة مخالفي الأنبياء من الفجّار والأشقياء، فأما السادة النجباء، والألباء من العلماء، الذين يخشون ربهم بالغيب فحالهم كما قال نبي الله شعيب ﴿...وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ...﴾ أي ما أريد في جميع أمري إلا الإصلاح في الفعال والمقال بجهدي وطاقتي). (٥)

وعن أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيُلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان مالك؛ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول: بلى قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه». (٦)

وجاء التشبيه بالحمار لأنه قد نفع غيره من الناس، وألقى فيهم كلمات مؤثرة ومعبرة انتفعوا بها في دينهم ودنياهم، أما هو فقد كان طالباً للسمعة والشهرة وحصل عليها ليس في الدنيا فحسب وإنما يوم القيامة.

http://kotob.has.it

الهوامش

(١) في ظلال القرآن ج٧: ١٧.

(٢) مسلم مع الشرح ج٢: ٢٧ ح [٨٠].

(٣) البخاري مع الفتح ج١٣: ٢٣٤ ح [٧١٩٨].

(٤) أخرجه أبو داود والترمذي، وضعفه الألباني، ضعيف سنن الترمذي صفحة ٣٦٨-٣٦٩ ح [٥٨٢].

(٥) قصص الأنبياء صفحة ٢٤٧.

(٦) البخاري مع الفتح ج٦: ٣٣١ ح [٣٢٦٧]، ومسلم مع الشرح ج ١٨: ١١٧-١١٨.

http://kotob.has.it

الجهاد

قال تعالى: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ [الأنبياء: ١٠٥]

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الجهاد في سبيل الله عز وجل

لم يكن الجهاد قد فرض على الأقوام السابقة قبل سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام، حيث كان الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام يدعون أقوامهم إلى عبادة الله عز وجل واتباع أوامره واجتناب نواهيه، فيكونوا على ذلك ما شاء الله لهم ثم تكون المفاصلة بنجاة المؤمنين وعذاب الكافرين المكذبين.

وقد أخبر عز وجل عن رسالة سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام وحالة قومه: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾ [يونس: ٧٣].

وعن القرون الأولى عامة: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٣].

وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: «ما أهلك الله قوماً ولا قرناً ولا أمة ولا أهل قرية منذ أنزلت التوراة على وجه الأرض بعذاب من السماء غير أهل القرية التي مسخت قردة». (١)

والجهاد في اللغة: بذل الجهد، وهو الوسع والطاقة.

أما اصطلاحاً: هو استفراغ الوسع في مدافعة العدو، (٢) ويكون باللسان واليد وغير ذلك.

فضل الجهاد ومنزلته:

الجهاد هو سياج للمبادئ التي جاءت في دين الله عز وجل، وهو طريق

http://kotob.has.it

الحفاظ على الدين والشرائع وبلاد المسلمين، فهو واحد من أهم مبادئ الإسلام العظمى، لأنه سبيل العزة والكرامة والسيادة لهذا كان فريضة محكمة، وما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا وغزوا في عقر دارهم وخذلهم الله وسلط عليهم من لا يرقب فيهم إلاً ولا ذمّة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

أما الشهداء الذين ارتفعت أرواحهم في سبيل الله عز وجل فإنهم يتمتعون بالخلود في الجنان والرفعة والمكانة في مصاف الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.

قال تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧١].

وفي الحديث: «يغفر للشهيد كل ذنبه إلا الدين». (٣)

«وأرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى القناديل». (٤)

«وأما الدم فلونه لون الدم أما الريح فهي ريح المسك». (٥)

«وما من أحد يموت فيحب أن يرجع إلى الدنيا إلا الشهيد فإنه يحب أن يرجع فيُقتل في الدنيا لِما يرى من فضل الشهادة». (٦)

غاية الجهاد:

للجهاد أهداف نبيلة وغاية سامية، فالدين الذي أنزله سبحانه هو رحمة للبشرية جمعاء، والأصل أن تصل كلمة الله تعالى للناس بالحكمة والموعظة الحسنة، لكن مصالح بعض الناس تجعلهم يقفون في طريق نشر الدين وإعلاء كلمة الحق، فعند ذلك لا بد للرسل عليهم السلام وأنصارهم من المجاهدين أن

http://kotob.has.it

يـزيـلـوا هـذه الـعـوائـق والحواجـز لـتصـل دعـوة الحق لـلـنـاس جـمـيـعـاً.

وقد يقاتل الناس لأهداف عديدة كالحصول على الأموال والمغانم أو شهرةٍ وسمعة بين الناس، فبيّن النبي صلى الله عليه وسلم أن هذا لا يعد قتالاً في سبيل الله تعالى فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله». (٧)

فالجهاد ليس هدفه الأرض، ولم تكتب الأرض أو جزء منها لأشخاص بسبب نسبهم أو لونهم أو جنسهم إنما الأرض لله تعالى. وها هو موسى عليه الصلاة والسلام يذكر ذلك بعبارة صريحة لبني إسرائيل، قال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

وَيُعقب صاحب الظلال على هذه الآية فيقول (إنه ليس لأصحاب الدعوة إلى رب العالمين إلا ملاذ واحد، وهو الملاذ الحصين الأمين، وإلا ولي واحد، وهو الولي القوي المتين. وعليهم أن يصبروا حتى يأذن الولي بالنصر في الوقت الذي يقدره بحكمته وعلمه. وألا يعجلوا، فهم لا يطّلعون الغيب ولا يعلمون الخير. وإن الأرض لله. وما فرعون وقومه إلا نزلاء فيها. والله يورثها من يشاء من عباده – وفق سننه وحكمته – فلا ينظر الداعون إلى رب العالمين، إلى شيء من ظواهر الأمور التي تخيل للناظرين أن الطاغوت مكين في الأرض غير مزحزح عنها.. فصاحب الأرض ومالكها هو الذي يقرر متى يطردهم منها!). (٨)

فالأرض لله سبحانه، سنة لا تغيب على الأرض، وهي كذلك على مر الزمان. قال جلت قدرته: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

والزبور: هو الكتاب الذي أُنزل على نبي الله داود عليه السلام، ليكون هذا الأمر حجة على بني إسرائيل على مر العصور.

فرض الجهاد على بني إسرائيل:

تحدثت آيات الكتاب الكريم عن بني إسرائيل وحثهم على مقاتلة الوثنيين

http://kotob.has.it

في أرض فلسطين، والدخول لتطهير الأرض المباركة من الأصنام والرذائل، فقال الله عز وجل مبيناً حوار سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام مع قومه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاء وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّن الْعَالَمِينَ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ [المائدة: ٢٠-٢٢].

بل لم يقف الأمر عندهم إلى هذا الحد، فقد كان سوء أدبهم في التعامل مع الله عز وجل ومع رسوله موسى صلى الله عليه وسلم: ﴿قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله فتاهوا في الأرض، حتى جاء أمر الله وغيّر ذلك الجيل المهزوم من الداخل بجيل يريد العيش بعزة وكرامة.

نشر الدين في عهد طالـوت وداود وسليمان عليهم السلام:

طالوت وداود عليهما السلام من قادة الفتح الثاني لبيت المقدس وتخليصه من الكفرة بعد قدوم جيل يطلب الجهاد في سبيل الله.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٦].

وكان لا بد من الامتحان والتصفية ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ...﴾ [البقرة: ٢٤٩]، فلم يبق إلا القليل ولهذا لم يخف البعض خوفهم فقالوا: ﴿...لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ...﴾ [البقرة: ٢٤٩]، لكن الذين أحسنوا الظن بالله عز وجل

http://kotob.has.it

قالوا: ﴿... كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، أما المعركة فانتهت بنصر من الله عظيم كنصر الله تعالى للمسلمين يوم بدر.

قال تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاء وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

عن البراء رضي الله عنه يقول: «حدثني أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ممن شهد بدراً أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر بضعة عشر وثلاث مائة، قال البراء لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمن». (٩)

وكان داود عليه الصلاة والسلام شديد البأس، ثابتاً في المعركة «وكان لا يفر إذ لاقى»، ومن العلم الذي أعطاه الله عز وجل له صناعة الدرع لحماية المجاهدين من بطش أعدائهم. قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

أما سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فقد أكمل مشوار الجهاد بكل طاقة وعزم وعتاد أكثر تطوراً من قبل. قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧]. واستمر بالفتوحات حتى وصل إلى اليمن وبالأخص مملكة سبأ. (١٠) قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاء سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [النمل:٣٦-٣٧].

ذو القرنين: (١١)

كان سعيه في سبيل نشر دين الله حتى وصل مشارق الأرض ومغاربها، إضافة إلى أنه كان يملك خبرة علمية كبيرة. قال تعالى: ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٦].

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحث المسلمين على الرمي، ويذكرهم

http://kotob.has.it

بأن أباهم إسماعيل عليه السلام كان رامياً. فعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم على نفر ينتصلون فقال: «ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً.» (١٢)

ولعله من المفيد ذكره أن من نِعَم الله تعالى على أمة محمد صلى الله عليه وسلم أن أباح لها الغنائم خاصة لما فيها من ضعف، أما الأمم السابقة فقد حرم عليهم أخذ أي شيء منها حتى لو كان شيئاً يسيراً، وكانوا يجمعون الغنائم في موضع معين، ثم تأتي نار من السماء فتحرق هذه الغنائم دليلاً على القبول.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «غزا نبي من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولما يبن بها، ولا أحد بنى بيوتاً ولم يرفع سقوفها، ولا أحد اشترى غنماً أو خلفات وهو ينتظر ولادها، فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريباً من ذلك فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا فحبست حتى فتح الله عليه، فجمع الغنائم فجاءت يعني النار لتأكلها فلم تطعمها. فقال: إن فيكم غلولاً فليبايعني من كل قبيلة رجل فلزقت يد رجل بيده. فقال: فيكم الغلول، فليبايعني قبيلتك فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده .فقال: فيكم الغلول، فجاءوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب فوضعوها، فجاءت النار فأكلتها. ثم أحل الله لنا الغنائم، رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا». (١٣)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لم تحل الغنائم لأحد سود الرؤوس من قبلكم، كانت تنزل نار من السماء فتأكلها» (١٤).

http://kotob.has.it

الهوامش

(١) أخرجه الحاكم، وصححه ووافقه الذهبي والبزار، وصححه الألباني، السلسلة الصحيحة ج٥: ٣٢٧ ح [٢٢٥٨].

(٢) المفردات صفحة ٢٠٨.

(٣) مسلم مع الشرح ج١٣: ٣٠ ح [١١٩].

(٤) مسلم مع الشرح ج١٣: ٣١.

(٥) البخاري مع الفتح ج٦: ٢٠ ح [٢٨٠٣]، ومسلم مع الشرح ج١٣: ٢٠.

(٦) البخاري مع الفتح ج٦: ١٥ ح [٢٧٩٥]، ومسلم مع الشرح ج١٣: ٢٤.

(٧) البخاري مع الفتح ج٦: ٢٧-٢٨ ح [٢٨١٠]، ومسلم مع الشرح ج١٣: ٤٩.

(٨) في ظلال القرآن ج٣: ٦١٢-٦١٣.

(٩) البخاري مع الفتح ج٧: ٢٩٠ ح [٣٩٥٧].

(١٠) وردت الآيات مفصلة في سورة النمل [٢٠-٣٧].

(١١) وردت الآيات مفصلة في سورة الكهف [٨٣-٩٨].

(١٢) البخاري مع الفتح ج٦: ٤١٣ ح [٣٣٧٣].

(١٣) سبق تخريجه صفحة ٦٧.

(١٤) أخرجه الترمذي في (التفسير)، وابن حبان والطحاوي في (مشكل الأثار)، وصححه الألباني، السلسلة الصحيحة ج٥: ١٨٨ ح [٢١٥٥]، وقال الأرناؤوط: (إسناده على شرط الشيخين)، الإحسان ج١١: ١٣٤ ح [٤٨٠٦].

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

ذكر الله

قال تعالى: ﴿فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾ [الصافات: ١٤٣-١٤٤].

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

ذكر الله عز وجل: (١)

يقول أبو حامد الغزالي: (فليس بعد تلاوة كتاب الله عز وجل عبادة تؤدى باللسان أفضل من ذكر الله تعالى ورفع الحاجات بالأدعية الخالصة إلى الله تعالى). (٢) وقد وردت آيات كريمة كثيرة تحث على ذكر الله عز وجل منها ما هو عام كقوله عز وجل: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]. ومنها ما جاء خطاباً لأحد الأنبياء بأن يذكر الله عز وجل، أو يكون التسبيح على لسان أحد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام:

طلب موسى من الله عز وجل أن يجعل أخاه هارون نبياً ورسولاً ليحمل معه أعباء الدعوة إلى الله تعالى، ويساعده في الذكر والطاعة. قال تعالى على لسان نبيه موسى عليه السلام: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا. مِّنْ أَهْلِي. هَارُونَ أَخِي. اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي. وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي. كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا. وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا. إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ [طه: ٢٩-٣٥].

داود عليه الصلاة والسلام وهو العبد الشكور لله عز وجل:

كان عليه الصلاة والسلام من أعبد الناس، فصلاته من أفضل الصلاة، وصيامه كذلك، وكان ذاكراً لله تعالى، ومنّ الله سبحانه عليه فكانت الحيوانات والجمادات تسبح بتسبيحه.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠].

http://kotob.has.it

وقال عز وجل: ﴿...وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

وقال تعالى: ﴿...وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧-١٩].

قال صاحب الظلال (ولقد يقف الناس مدهوشين أمام هذا النبأ.. الجبال الجامدة تسبح مع داود بالعشي والإشراق، حينما يخلو إلى ربه، يرتل ترانيمه في تمجيده وذكره. والطير تتجمع على نغماته لتسمع له وترجع معه أناشيده.. لقد يقف الناس مدهوشين للنبأ، إذ يخالف مألوفهم ويخالف ما اعتادوا أن يحسوه من العزلة بين جنس الإنسان وجنس الطير وجنس الجبال ولكن فيم الدهشة؟ وفيم العجب؟ إن لهذه الخلائق كلها حقيقة واحدة، وراء تميز الأجناس والأشكال والصفات والسمات، حقيقة واحدة يجتمعون فيها ببارىء الوجود كله أحيائه وأشيائه جميعاً، وحين تصل صلة الإنسان بربه إلى درجة الخلوص والإشراق والصفاء، فإن تلك الحواجز تنزاح، وتنساح الحقيقة المجردة لكل منهم). [٣]

زكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام:

قال سبحانه في شأن زكريا عليه السلام عندما بشرته الملائكة بولادة يحيى، وهذه سنة الله تعالى في أنبيائه وعباده المؤمنين بالإقبال عليه عند حدوث نعمة، فيقفون أمامه سبحانه طائعين ذاكرين، شاكرين له نعمه العظيمة. قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١].

وقال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩-٩٠].

يونس عليه الصلاة والسلام:

قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ

http://kotob.has.it

وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

وقال عز وجل: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣-١٤٤].

وفي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبركم بشيء إذ أنزل برجل منكم كرب أو بلاء من بلايا الدنيا دعا به يفرج عنه، فقيل له: بلى، فقال: دعاء ذي النون لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين».[٤] فقد علم عليه الصلاة والسلام أنه لا نجاة للمؤمن إلا باللجوء إلى الله تعالى، فهو عز وجل مفرج الكروب والشدائد، لا ملجأ منه سبحانه إلا إليه.

ما يقول الإنسان إذا أعجبه شيء

في سورة الكهف حديث عن قصة صاحب الجنتين، ذلك الرجل المتكبر المعجب بجنتيه، الجاحد لنعم الله سبحانه. وكان العبد الصالح يدعوه لترك هذا التكبر والتفاخر وردّ فضل ذلك إلى الله تعالى.

قال تعالى على لسان الرجل الصالح: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [الكهف: ٣٩].

ما يقال عند المعركة واحتدام البأس:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

فالنصر من عنده سبحانه، وعلى المجاهدين أن يكونوا أقرب إلى الله تعالى في هذا الوقت أكثر منه في أي وقت مضى.

فضل الاستغفار:

للاستغفار فوائد عظيمة، ففيه إقرار من العبد بذنوبه التي اقترفها، وهو مجلبة للمغفرة والغيث والإمداد بالأموال والبنين. قال عز وجل على لسان رسوله نوح عليه الصلاة والسلام مخاطبا قومه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ

http://kotob.has.it

كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٢].

الحث على ذكر الله تعالى:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ، هم خير منهم، وإن تقرب مني شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة». (٥)

فضل مجالس الذكر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلاً يتبعون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر قعدوا معهم، وحف بعضهم بعضاً بأجنحتهم، حتى يملؤا ما بين السماء الدنيا، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء، قال: فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم بهم من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عباد لك في الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك. قال: وماذا يسألوني؟ قالوا: يسألونك جنتك. قال: وهل رأوا جنتي؟ قالوا: لا أي رب. قال: فكيف لو رأوا جنتي؟ قال: ويستجيرونك. قال: مم يستجيرونني؟ قالوا: من نارك يا رب. قال: وهل رأوا ناري؟ قالوا: لا. قال: فكيف إذا رأوا ناري؟ قالوا: ويستغفرونك. قال: فيقول قد غفرت لهم فأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا. قال: فيقولون: رب فيهم فلان عبد خطاء إنما مر فجلس معهم. قال: فيقول وله غفرت، هم القوم لا يشقى بهم خليلهم». (٦)

فضل لا إله إلا الله:

عن عبد الله بن عمرو أن نبي الله نوحاً عليه السلام لما حضرته الوفاة قال لابنه: «إني قاص عليك الوصية، آمرك باثنتين وأنهاك عن اثنتين: آمرك بلا إله إلا الله، فإن السموات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة أصبحت بهن لا إله إلا الله، ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة

http://kotob.has.it

قصمتهن لا إله إلا الله ويسبحان الله ويحمده، فإن بها صلاة كل شيء وبها يرزق الخلق وأنهاك عن الشرك والكبر..». (٧)

وفي حديث يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام:

«وآمركم بذكر الله عز وجل فإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعاً في أثره فأتى حصناً حصيناً فتحصن فيه وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا ذكر الله عز وجل». (٨)

فضل التحميد والتهليل والتسبيح:

التحميد والتهليل والتكبير زاد المسلم في يومه وليلته، فهذه الألفاظ على خفتها ثقيلة في الميزان يوم الحساب، وهي غرس من غرس الجنة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده وسبحان الله العظيم». (٩)

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقيت إبراهيم ليلة أُسري بي، فقال: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غرسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر». (١٠)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنه خُلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل، فمن كبّر الله وحمد الله وهلل الله وسبّح الله واستغفر وعزل حجراً عن طريق الناس أو شوكةً أو عظماً عن طريق الناس، وأمر بالمعروف ونهى عن منكر، عدد بكل الستين والثلاثمائة سلامة، فإنه يمشي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار». (١١)

ما يقال عند لقاء العدو وذي السلطان:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿...حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، قالها إبراهيم حين أُلقي في النار، وقالها محمد حين قال له الناس (إن الناس قد جمعوا لكم). (١٢)

http://kotob.has.it

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «بينما امرأة ترضع ابنها إذ مر بها راكب وهي ترضعه فقالت: اللهم لا تمت ابني حتى يكون مثل هذا. فقال: اللهم لا تجعلني مثله. ثم رجع في الثدي ومر بامرأة تجرجر ويلعب بها. فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثلها. فقال: اللهم اجعلني مثلها. فقال: أما الراكب فإنه كافر، وأما المرأة فإنهم يقولون بها تزني وتقول حسبي الله، ويقولون: تسرق. وتقول: حسبي الله». (١٣)

التقرب إلى الله تعالى بصالح الأعمال:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «بينما ثلاثة نفر يتمشون أخذهم المطر، فأووا إلى الغار في جبل فأحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم. فقال بعضهم لبعض انظروا أعمالاً عملتموها صالحة لله فادعوا بها لعل الله يفرج عنكم». (١٤)

http://kotob.has.it

الهوامش

(١) يقرن العلماء الحديث عن الذكر والدعاء، وقد اكتفيت بالحديث عن الذكر لورود آيات كريمة وأحاديث شريفة ورد فيها الدعاء على ألسنة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام في الكتاب في الصفحات السابقة فلم أرغب بتكرارها.

(٢) إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي ج١: ٢٥٩.

(٣) في ظلال القرآن ج٧: ٩٥.

(٤) أخرجه الحاكم من طريق إبراهيم بن محمد بن سعيد عن أبيه عن جده، والترمذي وأحمد عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وصححه الألباني، السلسلة الصحيحة ج٤: ٣٢٥ ح [١٧٤٤] وحسنه الأرناؤوط، المسند ج٣: ٦٦٦٥ ح [١٤٦٢].

(٥) البخاري مع الفتح ج١٣: ٣٩٥ح [٧٤٠٥]، مسلم مع الشرح ج١٧: ٢-٣.

(٦) مسلم مع الشرح ج١٧: ١٤-١٥.

(٧) سبق تخريجه صفحة ١٠٣.

(٨) سبق تخريجه صفحة ٦٦.

(٩) البخاري مع الفتح ج١١: ٢٠٦ ح [٦٤٠٦]، ومسلم مع الشرح ج١٧: ١٩.

(١٠) أخرجه أبو داود والترمذي وقال (حديث حسن)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي ج٣: ١٦٠ ح [٢٧٥٥].

(١١) مسلم مع الشرح ج٧: ٩٢-٩٣.

(١٢) البخاري مع الفتح ج٨: ٢٢٩ ح [٤٥٦٣].

(١٣) البخاري مع الفتح ج٦: ٥١١ ح [٣٤٦٦]، ومسلم مع الشرح ج١٦: ١٠٧-١٠٨.

(١٤) البخاري مع الفتح ج٦: ٥٠٥-٥٠٦ ح [٣٤٦٥]، ومسلم مع الشرح ج١٧: ٥٥-٥٧ ح [١٠٠].

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الخاتمة

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الخاتمة

الحمد لله عز وجل الذي له الفضل والمنة على عباده الأولين والآخرين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وبعد:

فإنني أسأل الله سبحانه أن يكون هذا الكتاب لبنة مرصوصة في الحديث عن تاريخ العبادات وقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وفي نهاية المطاف فإنني أختم هذا الكتاب ببعض النتائج.

أولاً: إن الناظر في هذا الكتاب سيجد أن الأمة الإسلامية هي أمة واحدة من لدن آدم عليه الصلاة والسلام، وإن أمة محمد صلى الله عليه وسلم هي الأمة الوارثة لسلفها من الأنبياء والمرسلين والصالحين عليهم السلام، والمسلم في كل صلاة من صلواته الخمس يدعو ويسلم على عباد الله الصالحين فيشعر بذلك الامتداد الذي لا حدود له.

لقد جاء تناول عبادات السابقين في هذا الكتاب مختلفاً عما جاء في الكتب المؤلفة في هذا الموضوع، فقد تحدثت أغلبها عن أشكال العبادات وصورها عند الذين ضلوا عن منهج الأنبياء والمرسلين، فوصفوا أغلب الأمم على أنها أمم منحرفة تعبد الأصنام والأوثان والنار وغير ذلك، ولم يتم الحديث عن تلك الفئة المؤمنة، المتّبعة لشرع الله تعالى.

ثانياً: لقد اختلفت أقوال العلماء في طرح هذا الموضوع، وأُحب أن أضرب على ذلك مثالين لعالِمين جليلين، فقد سُئل الإمام ابن تيمية هل كانت الصلاة

http://kotob.has.it

على من قبلنا من الأمم مثل ما هي علينا من الوجوب والأوقات والأفعال والهيئات أم لا؟

فأجاب: (كانت لهم صلاة في هذه الأوقات، لكن ليست مماثلة لصلاتنا في الأوقات والهيئات وغير ذلك والله أعلم) (١). أما الإمام ابن خزيمة فقد ترجم لحديث ابن عباس رضي الله عنهما في إمامة جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: (باب ذكر الدليل على أن فرض الصلاة كان على الأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم كانت خمس صلوات كما هي على النبي صلى الله عليه وسلم وأمته، وإن أوقات صلواتهم كانت أوقات النبي صلى الله عليه وسلم وأمته) (٢) ولا شك إن هاذين القولين - على فضل وإجلال قائليها - ليسا دقيقين، خاصة قول ابن خزيمة رحمه الله، ولعل السبب في اعتقادي هو عدم البحث في هذه المسألة بصورة استقصائية شاملة.

فقد امتزج هذا الموضوع مع كتب العقائد والتفسير والحديث، إضافة إلى تعدد المرجعيات خاصة غير الإسلامية منها، وقياس البعض عبادات السابقين بالنظر إلى أحوال اليهود والنصارى في زمانهم، وهذا لا شك قصور بالغ، فمن المعلوم أن اليهودية والنصرانية هي أديان متطورة، وما كان يفعله اليهود من عبادات في زمن النبي صلى الله عليه وسلم تختلف اختلافاً جسيماً عما هو موجود الآن، فكيف في زمن موسى عليه الصلاة والسلام.

ثالثاً: إن الأدلة التي أوردتها في هذا الكتاب هي أدلة مباشرة، ومن الأدلة التي يمكن الاستدلال بها، هو ما يعرف بالاستدلال بعموم النصوص فالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي تتحدث عن المتّقين من عباد الرحمن وصفاتهم وأخلاقهم وعباداتهم هي - في أغلبها - ليست خاصة في أمة محمد صلى الله عليه وسلم وحدها. فالجنة دار النعيم الأبدي لكل من شهد لله بالوحدانية واتبع من جاءه من الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وأحب أن أضرب مثالين على الاستدلال بعموم النصوص فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سُتر ما بين أعين الجن وعورات بني آدم إذا دخل أحدهم الخلاء أن يقول: بسم الله» (٣)

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ستر ما بين

http://kotob.has.it

أعين الجن وعورات بني آدم إذا وضع أحدهم ثوبه أن يقول: بسم الله». (٤)

أقول: هذان الحديثان يصلح الاستدلال بهما - حسب ظني - عن عبادات السابقين، فالحديث الأول يصلح للاستدلال في آداب الذهاب إلى الخلاء، والثاني في آداب اللباس وستر العورة، ولم أضع هذه الأدلة وأمثالها لظني بأن البعض قد يعتبر إيراد مثل هذه الأحاديث من قبيل الإطالة، وقد أوردت بعض الأدلة العامة لوجود شواهد قوية تؤيدها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

http://kotob.has.it

الهوامش

(١) الفتاوى ج٢٢: ٥

(٢) صحيح ابن خزيمة ج١: ١٦٧، باب رقم ١٣ح [٣٢٥].

(٣) أخرجه الترمذي وابن ماجة وأحمد، وصححه الألباني، صحيح الجامع، ج١: ٦٧٥ ح [٣٦١١].

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط، وصححه الألباني، صحيح الجامع ج١: ٦٧٥ ح [٣٦١٠].

http://kotob.has.it

المصادر والمراجع

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

المصادر والمراجع

١- الأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، إبراهيم محمد العلي، دار القلم - دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٢- الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان، علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

٣- أحكام أهل الذمة، شمس الإسلام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، تحقيق د. صبحي الصالح، مطبعة جامعة دمشق، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ /١٩٦١م.

٤- أحكام الجنائز وبدعها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

٥- أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن عبدالله، المعروف بابن العربي المالكي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

٦- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار القلم - بيروت، الطبعة الأولى.

٧- أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ، د.جمال عبد الهادي ود.وفاء محمد، دار طيبة - الرياض، الرسالة الأولى، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م، الرسالة الثالثة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م.

٨- الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد ناصر الدين

http://kotob.has.it

الألباني، دار الصديق، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩م.
٩- إرواء الغليل تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
١٠- الإستيعاب في أسماء الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، مطبوع بهامش كتاب الإصابة في تميز الصحابة، دار الكتاب العربي - بيروت ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م.
١١- إعانة الطالبين، السيد البكري بن السيد محمد شطا الدمياطي، دار الفكر - بيروت.
١٢- إعلام الساجد بأحكام المساجد، محمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق مصطفى المراغي - القاهرة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.
١٣- إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض بن موسى اليحصبي، دار الوفاء - المنصورة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
١٤- الأيمان والنذور، د. محمد عبد القادر أبو فارس، دار الأرقم - عمان، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.
١٥- بستان الواعظين ورياض السامعين، أبو الفرج بن الجوزي، تحقيق مجدي محمد الشهاوي، مكتبة الإيمان - المنصورة.
١٦ - التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر.
١٧- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر.
١٨- تحفة المودود بأحكام المولود، محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم الجوزية، دار ابن حزم - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
١٩ التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، محمد بن أحمد القرطبي، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
٢٠- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن جزي الكلبي، دار الفكر.
٢١- تفسير القرآن الحكيم، المعروف بتفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المعرفة - بيروت.
٢٢- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير الدمشقي، مؤسسة الكتب

http://kotob.has.it

الثقافية – بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
٢٣- التفسير الكبير، الفخر الرازي، دار التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
٢٤- تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر، دار المعرفة – بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
٢٥- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، أحمد بن علي بن حجر، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
٢٦- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، مؤسسة مناهل العرفان – بيروت.
٢٧- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار الفكر.
٢٨- حاشية رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين، الشهير بابن عابدين، دار الفكر – بيروت ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
٢٩- حجة الله البالغة، ولي الله الدهلوي، دار التراث – القاهرة.
٣٠- حواشي الشرواني، عبد الحميد الشرواني، دار الفكر – بيروت.
٣١- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
٣٢- الزهد، أحمد بن حنبل، دار القمر الجامعي ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
٣٣- سلسة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
٣٤- سلسة الأحاديث الضعيفة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
٣٥- صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق د.محمد مصطفى الأعظمي ومحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
٣٦- صحيح ابن ماجة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
٣٧ – صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، مطبوع مع فتح الباري،

http://kotob.has.it

أحمد بن علي بن حجر، دار الفكر، وطبعة دار السلام – الرياض، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

٣٨- صحيح الترغيب والترهيب للمنذري، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

٣٩- صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

٤٠- صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، تعليق زهير الشاويش، مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي – الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

٤١- صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج – الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

٤٢- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، مطبوع مع شرح مسلم، محي الدين يحيى بن شرف النووي، الدار الثقافية العربية – بيروت، الطبعة الأولى ١٣٤٧هـ / ١٩٢٩م.

٤٣- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الفكر – بيروت.

٤٤- الصلاة، د. عبد الله الطيار، دار الوطن – الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

٤٥- الصلاة وحكم تاركها، محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزي، دار الحديث – القاهرة.

٤٦- ضعيف سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج – الرياض، الطبعة الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م، علق عليه زهير الشاويش.

٤٧- ضعيف سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج – الرياض، الطبعة الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م، علق عليه زهير الشاويش.

٤٨- عمد القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.

http://kotob.has.it

٤٩- فتح الباري، ابن رجب الحنبلي، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
٥٠- الفقه الإسلامي وأدلته، د.وهبة الزحيلي، دار الفكر، الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.
٥١- فقه الزكاة، د.يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الحادية والعشرون ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
٥٢- فقه السنة، سيد سابق، دار الفكر - بيروت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
٥٣- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة السابعة ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.
٥٤- القدس قضية كل مسلم، د. يوسف القرضاوي، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
٥٥- قصص الأنبياء، إسماعيل بن كثير الدمشقي، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
٥٦- الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل، محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
٥٧- كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور البهوتي، دار الفكر - بيروت، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
٥٨- كل مولود يولد على الفطرة، تقي الدين السبكي، دار ابن حزم - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
٥٩- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين المتقي بن حسام الدين الهندي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
٦٠- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ /٢٠٠٠م.
٦١- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، دار الإيمان - المنصورة.
٦٢- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

http://kotob.has.it

٦٣- المجموع شرح المهذب للشيرازي، محي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق محمد نجيب المطيعي، مكتبة الإرشاد - جدة.
٦٤- مجموع فتاوى شيخ الإسلام، أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد قاسم.
٦٥- مختصر العلو، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ / ١٩٩١م.
٦٦- المسند، أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
٦٧- مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله التبريزي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
٦٨- المعجم الأوسط، سلمان بن أحمد الطبراني، تحقيق محمد حسن محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
٦٩- معجم البلدان، ياقوت الحموي، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
٧٠- المعجم الكبير، سلمان بن أحمد الطبراني، تحقيق حمدي السلفي، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
٧١- مع قصص الصالحين، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم - دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
٧٢- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، محمد الخطيب الشربيني، دار الفكر.
٧٣- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، دار القلم - دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
٧٤- منهج النقد في علوم الحديث، د.نور الدين عتر، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
٧٥- موسوعة فقه ابن تيمية، د.محمد رواس قلعة جي، دار النفائس - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

http://kotob.has.it

٧٦- موسوعة فقه الطبري وحماد بن أبي سلمة، د. محمد رواس قلعة جي، دار النفائس - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
٧٧- الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
٧٨- النصرانية في الميزان، محمد عزت الطهطاوي، دار القلم - دمشق ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
٧٩- نظم الدرر في تناسق الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتب العلمية - بيروت.
٨٠- الوجيز في أصول الفقه، د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الفهرس

http://kotob.has.it

بسم الله الرحمن الرحيم



مكتبة المهتدين الاسلامية لمقارنة الاديان

The Guided Islamic Library for Comparative Religion

http://kotob.has.it





مكتبة إسلامية مختصة بكتب الاستشراق والتنصير ومقارنة الاديان.

PDF books about Islam, Christianity, Judaism, Orientalism & Comparative Religion.

لاتنسونا من صالح الدعاء

Make Du’a for us.